

نحو مسلم مبدع

دعوة الإسلام إلى إجادة القراءة والكتابة

فخري محمد صالح

(هــذا الكتـــاب)

الدعوة الإسلامية ، منذ نزلت أول آية قرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم) وهى دعوة لبناء المسلم المبدع لعمار الأرض حتى يكون جديرا بخلافة الله سبحانه ـ فيها .

ومستحيل على المسلم أن يكون مبدعا مالم يكن متعلما تعلما كاملا وفق قدراته العقلية ، وإلا كان كجزء فى آلة لا يدرى له كيانا فى حياته الدنيا وحياته الآخرة ، والإسلام يرفض هذا تماما فالمسلم له شخصيته وعزته ، على قدر ماتعلم وعلى قدر مايترك من أثر فى الحياة .

لذا كانت إجادة القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى يتذوق فصاحة وبلاغة اللغة العربية فيستطيع أن يتدبر القرآن الكريم ويعمل بحقائقه ، تنظيما لحياة الفرد وحياة الجماعة وحياة الدولة وحياة الأمة ولا يمكن أن نصل إلى هذه الحقائق مالم نكن نجيد اللغة العربية إجادة تامة .. ومن هنا فرضيتها على المسلم مهما كانت جنسيته ومهما كان موقعه ومهما كانت مهنته .. وإلا كان جاحدا لأعظم نعمة أنعمها الله على الإنسان .. ألا وهى العقل .. وهذا هو موضوع الكتاب .



توزيع

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

لغة القرآن الكريم

وقضية محو الأمية

أو

دعوة الإسلام

إلى

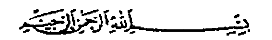
إجادة القراءة والكتابة

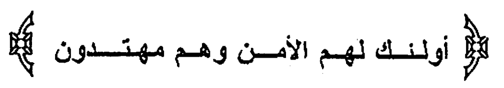
" جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هدفه الأول :

أن يصنع رجالا لاأن يلقى مواعظ وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطبا وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم وكان عمل محمد صلى الله عليه وسلم أن يحول الفكرة الى رجال تلمسهم الأيدى ، وتراهم العيون "

عبد الله ناصح علوان

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م





٨٢ ـ " سورة الأنعام "

القراءة والكتابـة
فريضة إسلاميـة
أم واجب حضارى



الإهــــداء :

. . إلى كــل مسلـم ومسلمة

مهمـــا كـــانت الجنسيـة

ومهما كـــان الموقـــــع

ومهما كانت المهنة أو الوظيفة

أهـــدى هـــذا الكتـــاب

حرصا على أقوى الروابـــط

بيــن مسلمى الـعـــالم . .

الـلـغــة الـعـربيــــة . . .

لــغــة الـقــــرآن الكــريم . .

فخرى محمد صالح

تقديم

بقلم فضيلة الدكتور الشيخ / محمد نايل عميد كلية اللغة العربية سابقا ، وعضو مجمع اللغة العربية ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

هذا بحث قيم ومفيد ، بذل فيه الأستاذ فخرى محمد صالح جهدا مشكورا يثاب عليه ، إذ هو دعوة صادقة لكل مسلم أن يتعلم القراءة والكتابة ، ليخرج من إسار الأمية وليتصل بالعالم من حوله ، وينمى حصيلته من الثقافة ، وخبرته فى مجال ما يحترف من عمل .

وليت الأستاذ يراجع فكرته التى بنى البحث عليها ، فى أن تعلم القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة وأن تعلم العربية فرض عين أيضا على المسلمين من أهل اللغات الأخرى .. فان كل الآيات والأحاديث التى ساقها لاثبات فكرته ليس فيها ما يدل على فرض العربية على غير المسلم ولا فرض القراءة والكتابة على المسلم ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين من عهد الرسالة إلى اليوم بفرضية شىء من ذلك إنما انتشرت العربية فى شطر من البلاد المفتوحة برغبة أهلها ، لا بفرضية فرضت عليهم وظلت كثرة منهم لاتعرف العربية ، ولم ينكر أحد عليهم ، مع وجود العلماء والحكام فيما بينهم .

نعم .. تعلم القراءة والكتابة واجب حضارى لاديني ، وتعلم العربية للمسلم أيا كانت جنسيته اكمل لدينه وأدنى إلى فهم أسرار كتابه ، وقربى الى الله ورسوله .. على أن يكون ذلك برغبة نابعة من داخله لامفروضة عليه فلو راجع الباحث بحثه فى هذا الاطار كان نشره مفيدا ،

محمد نايل

(١) ارجع الى آخر الكتاب باب (اجتهاد) للرد على التقديم

مدخـــل

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد النبى الأمـى هـادى ومعلـم البشـرية إلى يوم الدين .

لاشك أن اللغة تؤدى دورا خطيرا فى ربط أفراد الشعب برباط قـوى لاتنفصـم عراه أبدا . . وكلماازداد الشعب تمسكا بلغته قويت وحدته ، وتـأصلت حضارتـه ، وازداد رقيا واحتراما فى نظر العالم ، فاذا بدأ الشعب يتخلى عن لغتـه تدريجيـا ــ بأية حجة ـ كانت بداية التفكك ، وضعف الثقة ، والفوضى المؤديـة إلـى الانهيـار بل الضياع النهائى ، عن طريق الذوبان فى حضارات وثقافات أخرى .

ورحم الله شاعر النيل حافظ ابراهيم حين قال :

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة * وكم عز أقوام بعز لغات

فدليل عزة الشعب ، اعتزازه بلغته مهما كانت ـ وأمامنا تجربة واقعية فـى محاولة الشعب الإسـرائيلى إحيـاء اللغـة العبرية بعد اندثارهـا ، بـل جعلوهـا لغـة تخاطب ومعاملة ــ فما بالك بلغة لها قداستها ، ولها أصو لها ، وقواعدها وتراثهـا ،ولـها حضارات قامت بها ، فبهرت العالم على مدى الماضى والحاضر والمستقبل.

اللغة العربية ، اللغة الخالدة ، التى بقيت منـذ مـا ينيـف عن عشـرين قرنـا ثابته، شامخة ،شموخ الجبال الرواسى ، حيـة لـم تهـتز فـى قـاعدة مـن قواعدهـا ولا فـى أسلوب من أساليبها ، ميدان خصب معبر عن جميع أنواع المعرفة الإنسانية ، فما ضاقت وما كلت ــ على الرغم من محاولات الهدم والتدمير ـ بل كانت على المـدى الطـويل مـوضـع البحـث والتنقيب والـدراسـة ، وتـذوق ألفـاظـها وعبـاراتها .

فازدادت جمالا وتألقا ، ووفت بكل أغراض البشرية فى يسرولين .

اللغة العربية ، التى لفتت أنظار العالم من علماء وباحثين ، بل شعوب الأرض قاطبة ، تسعى إليها دارسة من حيث موسيقاها وفصاحتها وبلاغتها حتى تنسيق وجمال خطوطها . تلقى ـ اليوم ـ على يد أبنائها الهوان والذلة ، والعزوف عنها بحجج مركبات النقص والضعف والتخاذل .

ويتجلى ذلك واضحا فى :

وسائل الاعلام على اختلاف ألوانها ، وما تظهره من أخطاء شنيعة فاحشة من حيث الأداء فى النطق والأخطاء الإملائية فى الكتابة ورسم الحروف والكلمات بما لا يتفق ، مع قواعد الخط العربى ، بجانب ركاكة الأساليب ، وضعف التعبير والبعد عن الذوق الجمالى فى اللفظ وفى التركيب .

العزوف التام عن استعمال الفصحى فى الأحاديث والمناقشات والمناظرات بحجة التبسيط والتسهيل . والنزول إلى مستوى لغة الشارع للطبقات الدنيا ، وهذا دليل الضعف وعدم التمكن من اللغة فإذا كانت لغة الحوار لغة أجنبية كانت محاولات الدقة فى النطق والالتزام بأصول هذه اللغة الأجنبية ، هو السائد حتى يتظاهر المتحدث بمنظر أنه العالم العلامة ، وكم ممن يرطنون بهذه اللغات أبعد عن العلم والثقافة .

وللأسف الشديد ، بعض كتابنا ومفكرينا وأدبائنا وشعرائنا . الذين يتوغلون فى العامية توغلا صارخا بحجة الواقعية والوصول إلى فكر رجل الشارع ، هم فى الحقيقة دعاة للإقليمية القاتلة ، ودعاة تفكك وضعف ، الى مجتمعات مغلقة محكوم عليها بالإعدام والزوال ، أين هم من دعاة وحدة العالم العربى ، ومن دعاة وحدة العالم الاسلامى ، وهم يعلمون تماما أن أول أساس تقوم عليه هذه الوحدة ـ على أى مستوى ـ هو اللغة العربية الفصحى ـ لغة القرآن الكريم دستور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على مدى البشرية ـ رباط التفاهم والتقارب والوحدة الشاملة .

وأكثر من هذا أن تنال الفصحى بالسخرية والعبارات اللاذعة للنيل منها والحط من قداستها ـ للأسف ـ من بعض علمائنا ، وحتى من بعض أساتذة الجامعات . وكأن الفصحى لاحامى لها ، وكأنهم تجاهلوا ماضيها المجيد الذين تربوا على أكتافه ، وصاروا علماء بها ،
بل نسوا قول الله تعالى :
" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ٩ـ سورة الحجر . .
حتى من يقوم بتدريس العربية لأبنائنا فى أية مرحلة من مراحل التعليم ، صارت العربية وسيلة تكسب ولقمة عيش ، وماتت عندهم تنمية الانتماء اللغوى والوطنى والإسلامى .

وأكبر دليل على ذلك ما نراه فى خريجى الجامعات من ضعف صارخ فى لغتهم القومية أداء ونطقا وكتابة ، أو تعبيرا عن أفكارهم ، فاذا عبروا كان فى ركاكة تشينهم وتشين أساتذتهم وكتبهم ، فاذا ماعوتبوا فى ذلك قال الأساتذة فى استهانة : " هذه بضاعتكم ردت إليكم " وهم محقون الى حدما فى هذا ولكن لايعفيهم من المسؤولية ، ومن عذاب الضمير .

التعليم الابتدائى ـ الأساسى ـ المسئول الأول ـ لاجدال فى هذا ـ فالمفروض أن يتخرج التلميذ فيه وقد أجاد القراءة والكتابة والفهم والتعبير وبهذه تنفتح الحياة له . ويمسك بمفتاح العلم على اختلاف ألوانه فى بقية المراحل التعليمية . بل فى الحياة العملية نفسها ـ لكن معلم هذه المرحلة ـ للأسف الشديد ـ دون المستوى لدرجة أنه هو نفسه لا يجيد القراءة والكتابة والفهم والتعبير ، وقديما قيل " فاقد الشىء لا يعطيه " ورحم الله التعليم الإلزامى والتعليم الأولى حيث كان التلميذ يتخرج فيهما وقد أجاد القراءة والكتابة والفهم والتعبير ، مما جعلهم متفوقين فى بقية المراحل التى اختاروها بل أصبحوا ذوى حيثية فى حياتهم العملية ، وهذا يرجع لأن معلمى هاتين المرحلتين ، كانوا يجيدون حفظ القرآن

الكريم ويتميزون بالضمير الحى المتوج بالوازع الدينـى ، لذلك أخلصوا لأبنائهم ولدينهم .

أما مصيبة عشاق المظاهر والتفاخر ، فانهم يدفعون بأبنائهم الصغار الى مدارس اللغات ، دون تفكير أو وعى . ومدارس اللغات مثال فريد لايوجد فى دول العالم إلا فى الدول العربية ، وهو أن يتعلم الطفل لغتين فى آن واحد ، لغته القومية ولغة أجنبية ، وكثير من هذه المدارس تبدأ باللغة الاجنبية قبل اللغة القومية . . وهذا غير مقبول ـ بالمرة ـ علميا ولا وطنيا ولا قوميا ، فلا بد للطفل أن يدرب جهاز نطقه على الأداء والنطق الجيدين للغته القومية أولا وأن يتقنها الاتقان الذى يستطيع به التفاهم والتعبير ، ثم فى مرحلة متقدمة جدا نبدأ بطريقة مكثفة تعليم اللغة الأجنبية كما يحدث فى دول العالم .

والسبب فى ذلك أن جهاز النطق يشكل أو يعتاد ـ عند الطفل ـ على نطق معين ، فاذا تم له ذلك ونضج استطاع أن يدرب نفسه على نطق لغة أخرى .

ولكن بالمظهرية وبإنفاق الأموال فيما لاطائل منه ، تضيع لغتنا وأبناؤنا ، فالطفل لايجيد هذه ولا تلك ، وينشأ وقد ضعف الوازع القومى فى نفسه نتيجة ضعفه فى لغته القومية ـ أليس هذا الاتجاه تدميرًاللانتماء والقيم والمثل والوظيفة التى تغرسها اللغة العربية فى نفوس الأطفال .

ومن أخطر الظواهر المدمرة التى بدأت تتفشى هذه الأيام ـ بعد سيطرة الروح المادية ـ انتشار الأمية بين الصبية الصغار الذين يتسربون من المدارس الى الحرف والمهن جريا وراء الكسب المادى السريع ، والهروب من عناء التعليم وإنضاج العقل البشرى ، إلى العمل اليدوى الآلى ـ وللأسف ـ هذا الاتجاه يُبارك من أولياء أمورهم ، وكأن الحياة قائمة على جمع المال لإشباع حاجة الجسد فقط والتدنى إلى الحيوانية ، والبعد عن الرسالة السامية للانسان فى هذه الحياة ، والتى خلقه الله لها .

أى تخريب وتدمير للنفس المسلمة بعد هذا ؟!

باللغة العربية الفصحى قد نصل إلى إنسانيتنا والى هويتنا وإلى حضارتنا التى أضعناها بأيدينا؟

أليس باللغة العربية نحظى برحمة الله ورضاه ؟!

أليست اللغة العربية وسيلتنا الى الله ، ووسيلتنا الى السمو والرقى ؟!

إن لم تدركوا هذا ، فعودوا الى كتاب الله الكريم ، وعودوا إلى تاريخ حضارتكم الإسلامية .

وهذا الكتاب دعوة الى إجادة القراءة والكتابة وبالتالى إجادة اللغة العربية الرباط المقدس الحضارى بين الشعوب الإسلامية بل ومسلمى العالم قاطبة . . وبهذا نسير بخطى أكيدة إلى محو الأمية نهائيا من خلال الدعوة الدينية .

وكفى بالدين دافعا فى الشعوب الإسلامية والعربية وفى مصر بخاصة . . بدلا من إنفاق الملايين من الجنيهات عبثا دون جدوى لفقدان الدافع إلى تعلم القراءة والكتابة ..

وهذا الكتاب محاولة متواضعة مبسطة لإقناع الناس بأهمية القراءة والكتابة لتمام إيمانهم وتأصيل قيمهم ، وإثبات قيمتهم فى الحياة . . . وأن التعليم فريضة إسلامية .

فخرى صالح .

القرآن الكريم و اللغة العربية

(وهذا كتابٌ مُصدِقٌ لساناً عربياً)

١٢" الأحقاف "

القرآن الكريم واللغة العربية

القرآن الكريم :

قال تعالى : " وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين " ١٢٩ ـ الشعراء

هذه الآيات الكريمة ، تعريف بالقرآن الكريم ، من حيث إنه من عند الله سبحانه وتعالى ، وأن جبريل عليه السلام نزل به ، وحيا على قلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينذر العاصى ويبشر المطيع ، وأنه نزل بلسان عربى واضح مفهوم لا لبس فيه ولا غموض ، خصائص أربع حددت معالم القرآن الكريم ، والموقف يقتضينا تأكيدها فى إيجاز شديد تمهيدا لما سوف نسوقه من قضايا حول اللغة العربية :

أولا ـ القرآن الكريم ، لاشك أنه نزل من عند الله ، وأنه كلامه المحكم الحكيم قال " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " ١٠٥ ـ الاسراء

" ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق "
١٦ ـ الحديد

" نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه " ٣ ـ آل عمران

" إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين "
١٩٦ ـ الأعراف

" تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "
١ ـ الفرقان

" الله الذى نزل أحسن الحديث كتابا " ٢٣ ـ الزمر

إذن ـ مهما قيل وما يقال وما سوف يقال لاقيمة له أمـام حقيقـة واضحـة وضـوح الشمس أن القرآن الكريم كلام الله المنزل على قلب عبده محمد رسول الله صلـى الله عليه وسلم .

ثانيا ـ الحقيقة الثانية الراسخة على مسمع ومرأى من التاريخ البشرى ، أنه نزل بلسان عربى واضح مفهوم لالبس فيه ولا غموض ، لأنه يتعامل مع العرب خاصة ومع البشرية عامة إلى أن يشاء الله كدستور خالد يقود إلى خير الدنيا وخير الآخرة .

قال تعالى :

" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " ٤ ـ إبراهيم

" وهذا لسان عربى مبين " ١٠٣ ـ النحل

" لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين " ١٩٥ ـ الشعراء

" وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا" ١٢ ـ الأحقاف

" فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لُدا " ٩٧ ـ مريم

" فإنما يسرنا بلسانك لعلهم يتذكرون" ٥٨ ـ الدخان

الآيات الكريمة تبين أن القرآن الكريم نزل بلغة قوم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللغة العربية ، من أول ما نطق بها جبريل ـ عليه السلام ـ من أول آية حتى آخر آية نزلت من القرآن الكريم ، وأتشرف بعرض بعض الآيات القرآنية ، فيها إثبات لعالمية الاسلام وبالتالى إثبات لعالمية اللغة العربية ، قال تعالى :

" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ٢٨ ـ سبأ

كلمة للناس " كما أجمع على تفسيرها المفسرون ، تعنى العربى وغير العربى ، والمؤمن وغير المؤمن فدعوة الإسلام موجهة للعالمين ودستور الإسلام القرآن الكريم ، والقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، مما يحتم اللغة العربية على المسلم مهما كانت جنسيته ومهما كان موقعه حتى يفهم ويعى ، ويسلك السلوك الدقيق الذى عبر عنه القرآن الكريم تنظيما لحياة الفرد ، وحياة المجتمعات ، وحياة الدول ، والآيات القرآنية التالية تؤكد هذه الحقيقة ، قال تعالى : ـ

" تبارك الذى نزل الفرقان ليكون للعالمين نذيرا " ١ ـ الفرقان

" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ١٠٧ ـ الأنبياء
" إن هو الا ذكر للعالمين " ٨٧ ـ ص
" فقال إنى رسول رب العالمين " ٤٦ ـ الزخرف .
" تنزيل من رب العالمين " ٨٠ ـ الواقعة
" وما هو إلا ذكر للعالمين " ٥٢ ـ القلم

وكلمة " العالمين " تعنى الخلق كله أو كل ما احتواه بطن الفلك من مخلوقات على اختلاف أنواعها وألوانها وأشكالها (١) .

ثالثا ـ والحقيقة الثالثة ، أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان وسيلة الاتصال بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ولغة الحديث بينهما القرآن الكريم بلسان عربى مبين رفيع المستوى لانظير له ولامثيل ، قال تعالى :

" قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا "

١٠٢ ـ النحـــل

" قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله "

٩٧ ـ البقرة

رابعـــا ـ الحقيقة أن القرآن جاء هاديا وسلاما ورخاء وسعادة ، للبشرية فى الدنيا والأخرة ..

" إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين "

٩ ـ الإسراء

" إن أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "

١٠٥ ـ النساء

فالقرآن الكريم حقيقة إلآهية ، بينة الوضوح للعالمين ، فلا جدال حـول القرآن الذى ظل شامخا منذ نزل من عند الله إلى أن يشاء الله ونزل بلغة عربيـــة ميسرة " فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون "

٥٨ ـ الدخان

أى باللغة التى يتكلم بها العرب ، فكان قمة الفصاحة ، وقمة البلاغة ومثلا أعلى

---

(١) المعجم الوسيط " مجمع اللغة العربية بالقاهرة " مادة " علم " .

فى سمو الأفكار والمبادىء التى تهدى الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد ، وبقى الكتاب الخالد المقدس الذى يربط المسلمين على سطح الأرض ، مهما تناءت الديار ، ومهما اختلفت الأزمان .

" وعلى تنائى المكان من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، تتفاوت المجتمعات الإسلامية وهذا القرآن مناط وحدة الأمة عقيدة وروحا وفكرا ومزاجا " (١)

ولايزال القرآن الكريم للمسلمين وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو مفتاح الخروج من الأزمات ، فقد أعطاهم الله فى هذا القرآن بيان النصر ، وأسلوب العمل وسنن الكون والحياة وقوانين المجتمعات والأمم ، والحضارات وسقوطها ، وكشف عن أحداث التاريخ البشرى فى ضوء هذا القانون " (٢) .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن العرب بهرت أمام فصاحة القرآن وبلاغته ، وعجزوا أمامه عجزا تاما على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم وبعد شأوهم فى اللغة العربية ، كما هو واضح من أشعارهم ونثرهم ويكفى ما قاله الوليد بن المغيرة حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن الكريم : " والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام البشر ، ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه"

وهذه كلمة رجل لم يؤمن ولكنه يعرف مدى العلاقة بين بلاغة القرآن وبلاغة اللغة العربية ، ويأخذ فى اعتباره كما يأخذ كل من عايش نزول القرآن وجود عدة لغات وقت التنزيل ، ومدى أهمية اختيار الله سبحانه للعربية وتشريفها على سائر اللغات (٣)

---

(١) القرآن والتفسير العصرى . د . بنت الشاطىء (سلسلة اقرأ) صـ ١٥
(٢)عالمية الإسلام ـ أنور الجندى (سلسلة اقرأ) صـ ١٢٤
(٣) نفس المرجع السابق صـ ١٠٢

لذا تحدى القرآن الكريم العرب فى لغتهم التى يتيهون بها فخرا .
" قل فأتوا بعشر سورمثله مفتريات "

١٣ هود

" وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله "

٢٣ البقرة

" قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله "

٣٨ - يونس

" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "

٨٨ ـ الاسراء

فلما تبين للعرب أنهم عاجزون تماما أمام فصاحة وبلاغة القرآن أرباب اللغة العربية اتهموا القرآن بالشعر والكهانة والسحر والأساطير .
" إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون " ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين "

٤٣ ـ الحاقة

" فقال إن هذا الا سحر يؤثر " " إن هذا الا قول البشر "

١٢٥ ـ المدثر

" إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين "

١٥ ـ القلم

يقول العلامة ابن جنى فى كتابه الخصائص : ونزل القرآن بلغة العرب التى كانوا ينظمون بها شعرهم ويلقون بها خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ـ فى سورة ابراهيم :
" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " وجاءت صفة (مبين) نعتا للسان العربى وللقرآن اثنتى عشرة مرة فى القرآن الكريم .
وهذا لسان عربى مبين " ١٠٣ ـ النحل(١)

وفى الحقيقـة، كل مـا سبق بدهيات عنـد المسلم وللـدارس مـن غـيرهم ولكـن استعرضت ذلك فى عجالة لأبين مدى الارتباط بين القـرآن الكريـم واللغـة العربيـة وأنه لا يمكن الوصول الى حقائق القرآن إلا بإتقان اللغة العربية .
وتلاوة القرآن ، وترتيلة ، ذاتيا ـ فرض على المسلم لأنه وسـيلة عبادتـه وتقربـه إلى الله ، كما أنه دستوره الذى يعيش فى ظلاله ويسير على هداه ..

" وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن " ٩٢ ـ الاسراء
" ورتل القرآن ترتيلا " ٤ ـ المزمر
" فاقرأوا ما تيسر من القرآن " ٢٠ ـ المزمل
" فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " ١٨ ـ القيامة
" أفلا يتدبرون القرآن " ٨٢ ـ النساء
" وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ٨٢ ـ الاسراء
" وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن ٩٢ ـ الإسراء

اذن ، ليس فرضا على المسلم أن يقرأ أو يتلوه فقط بل فرضا عليه أيضا أن يتدبره ويعقله ، ولا يتم ذلك الا بإتقان اللغة العربية اتقانا واعيا .

" إنا أنزلناه قرأنا عربيا لعلكم تعقلون " ٢ ـ يوسف
" كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعملون " ٣ ـ فصلت

وهذا الارتباط بين القرآن الكريم واللغة العربيـة . يـؤدى بنـا إلـى دراسـة ميسـرة عن ماهية اللغة العربية ؟

(١) عالمية الإسلام ـ أنور الجندى (سلسلة اقرأ) صـ ١٠٢

اللغـــة العــربيـــة : ـ

قبيلة قريش إحدى قبائل العرب التى كانت لها السيادة على العرب فـى شبه الجزيرة العربية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب فيها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها :

١ـ السلطان الدينى : فقد كانت قريش جيران البيت ، يقيمون حوله ويقومون بسدانته ، وكان البيت مقدسا فى نظر معظم القبائل العربية فى الجاهلية ، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم .

٢ـ السلطان الاقتصادى : كانت معظم التجارة فى يد القريشيين الذين كانوا يتنقلون بتجارتهم فى مختلف بقاع الجزيرة العربية والقيام بالرحلات التجارية المنظمة من أشهرها ـ رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

٣ـ السلطان السياسى .. بفضل النفوذ الدينى والاقتصادى ، وبفضل الموقع الجغرافى ، وما كانت تمتاز به من حضارة ونعيم ، تحقق لقبيلة قريش نفوذ سياسى قوى فى سائر بلاد العرب فى العصر الجاهلى .

٤ ـ سلطان اللغة : لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية ثروة ، وأغزرها مادة ، وأرقاها أسلوبا ، وأدناها إلى الكمال ، وأقدرها على التعبير فى مختلف فنون القول ، لذا تغلبت لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى . (١)

فلا غرابة إذن ـ فى أن القرآن ، وقد جاء بلغة قريش ، كان مفهوما لدى جميع القبائل ، وكان يؤثر فى العرب جميعا ببيانه وبلاغته فقد نزل بعد أن تمّ للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى ، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب ، ولا غرابة أيضا ـ أن جاءت آثار العصر الجاهلى . معلقاتها وشعرها وخطبها وحكمها وأمثالها مؤلفة بلغة قريش . (٢)

وعلى هذا .. فقد كان لنزول القرآن ومجىء الحديث بلغة قريش ، وهما دعامة الدين الإسلامى الذى اعتنقته معظم قبائل العرب ـ أعظم أثر فى توحيد هذه اللغة وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسنة مما أدى إلى .. .. " تهذيب اللغة .

---

(١) فقه اللغة : د . على عبد الواحد وافى ـ طبعة ١٩٤٤ صـ ٨٤

(٢) المرجع السابق صـ ٦٨

العربيـة وتنقيحهـا والنهـوض بهـا إلـى أرقـى مسـتوى اللغـات الأداب والعلـوم فـى النهاية ، نهضت لغة قريش وأصبحت لها خصائص تميزها (١) : ـ

١ـ أنها أكثر اللغات احتفاظا بالأصوات السامية ، بل زادت عنها بأصوات كثيرة منها :

التاء ، الذال ، الظاء ، الغين ، الضاد ، (٢).

٢ ـ أنها أوسع أخواتها جميعا وأدقها فى قواعد النحو والصرف .

٣ ـ أنها أوسع أخواتها ثروة فى أصول الكلمات والمفردات (٣) .

٤ ـ أنها لغة يغلب عليها الطابع الاشتقاقى .

ويكفى ما أردناها عن اللغة العربية فى إيجاز ، ونعود إلى قضية الارتباط بينها وبين القرآن الكريم ، حيث نقرر ثانية أن المسلم مهما كانت جنسيته ، ومهما كان موقعه مكانا أو منصبا أو حرفه ومهنة ، عليه أن يتقن العربية إتقانا حتى يدرك بها إعجاز القرآن وسمو مبادئه وحقائقه .. وأن يستوعب مراميه وأهدافه ، حتى يهتدى إلى الطريق التطبيقى السليم .

لذلك ندرك تماما خطورة العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية ، فكما أن اللغـة العربية هى الوسيلة الوحيدة لفهم القرآن وإسـتيعاب مراميـه ، كذلـك كـان القـرآن الكريم هو الحافظ لها ويسـتحيل أن تقـوم الترجمـة مهمـا بلغت دقتهـا مقـام اللغـة العربية فى الوصول إلى الحقائق والأهداف وبنفس التأثير .

يقول بروكلمان : " بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لاتكاد تعرفه أى لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بـأن العـربية هى وحـدها

---

(١) نفس المرجع السابق صـ ٩٢١

(٢) ارجع إلى كتاب اللغة العربية أداء ونطقا (للمؤلف) .

(٣) المرجع السابق صـ ١٠١ .

اللسان الذى أحل لهم أن يستعملوه فى صلواتهم وبهذا اكتسبت العربية منذ زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى .(١)

ومن هنا كانت الدعوة الصادقة الملحة : تعلموا تعبيرات القرآن ولاتجعلوا للكلمة العربية الإسلامية مدلولا خارجا عما تريدون أنتم وعما هو لها بالفعل ، من هنا قول محمد إقبال ـ الشاعر الفيلسوف الإسلامى الأفغانى :

كنت أتلو القرآن أيام الطلب كل صباح بدون فهم فقال لى والدى كلمة ، غيرت مجرى حياتى ، قال : ـ ياإقبال ، اقرأ القرآن وكأنه نزل عليك .
منذ ذلك الوقت كرست جهدى ووقتى لدراسة العربية حتى أفهم القرآن وكأنه نزل على .

وقد انتبه إلى هذا المعنى ـ المستشرق براون ـ حين قال :
" نحن نختلف مع المسلمين فى كوننا نعتبر كتابنا مقدسا سواء ـ أقرأناه فى اللغة الأصلية أم فى لغتنا الحالية ، أما المسلمون فيعتبرون القرآن كلام الله وأنه لتنزيل من رب العالمين ، وإن الله هو الذى يخاطبهم وليس النبى محمد ولذلك فإن القرآن لايمكن ترجمته إلى لغة أخرى لأن المترجم مضطر أن يورد فى ترجمته قدرا من التفسير يستعين به على إظهار معانيه ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن المسلم سواء كان فارسيا أما تركيا أم هنديا أم أفغانيا أم من أهل الملايو ، فانه يرتل القرآن باللغة العربية ويتلفظ بالشهادة باللغة العربية ، يضاف إلى ذلك أننا نجد الشعوب التى اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية ، ولو أن أحدًا أراد أن يكتب شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر .

ولاريب أن واحدا من أعلام أفغانستان هو العلامة صلاح الدين السلجوقى كان صادقا . وهويحدث العرب فيقول : " هذا القرآن معاشر العرب ـ يجمعنا وإياكم بل يحفظنا وإياكم ، كما حفظ كيانكم وحمى اللغة العربية من الاندثار .. وعلينا أن نجاهد لكى يبقى القرآن .

---

(١) عالمية الإسلام أنور الجندى صـ ١٠٤

ولغة القرآن الخيط الذهبى الذى يؤلف بين قلوبنا دينا وثقافة كى لاتنفصم العروة التى كنا معتصمين بها والتى جاهد فى سبيلها الآباء "(١)

كما أنه لايمكن إدراك إعجاز القرآن إلا بعد دراسة اللغة العربية دراسة متأنية واعية . قال الإمام مالك : " لاأوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا "(٢)

وكما قالت بنت الشاطىء الكاتبة الاسلامية القديرة : " وكل الذين عرضوا لقضية الإعجاز ، اجمعوا على أن فقه العربية لغة وبيانا هو أداة النظر فى الإعجاز (القرآن الكريم) .

وكما قالت - أيضا : " وما تصدى للتفسير من أصحاب المذاهب والطرق الإسلامية إلا أرسخهم قدما فى علوم العربية والإسلام ، وأبرعهم فى تخريج الأقوال (٣)

وقال أبو هلال العسكرى : " وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة ، ولم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب (٤)

إذن ، اللغة العربية لها خصائص اللغة العالمية ، إنها لغة المسلمين جميعا ووسيلتهم إلى التفاهم والتقارب والوصول إلى تحقيق الآمال الخاصة والآمال العامة فى ظلال الإسلام وكتابه الكريم .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٠٧ ، صـ ١٠٨

(٢) البرهان للزركشى جـ١ صـ ٢١٢ ، الإتقان للسيوطى جـ١ صـ ١٧٩
نكالا أى عقابا

(٣) القرآن والتفسير العصرى د . بنت الشاطىء صـ٣٤، صـ٣٥

(٤) كتاب الصناعتين (الشعر والنثر) لأبى هلاله الحسن العسكرى طبعة بيروت صـ ٩ .

وقد جاء ـ تدعيما لهذا ـ فى رسالة الأزهر ،، كما لخصها الأستاذ الزيات عام ١٩٤٤ فى النقطة الثالثة من رسالة الأزهر :

" جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم فى الأرض لغتان ، لغة لوطنه الأصغر ، ولغة لوطنه الأكبر ، والوسيلة أن تحمل المشيخة أقطاب الرأى فى البلاد الإسلامية بالمفاوضة أو الانتمار (عقد المؤتمرات) على أن يجعلوا تعلم العربية والتكلم بها إجباريا فى مراحل التعليم المختلفة وأن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين فى الأزهر ، فإن شيوع العربية بين المسلمين تمكينا لفهم الدين، وتثبيتا لمعنى الأخوة " (١)

ويؤكد هذه الحقيقة الفيلسوف الكبير الدكتور زكى نجيب محمود " وكان الحافز الى البحث العلمى فى اللغة العربية ، تمهيد السبيل نحو أن يفهم المسلم كتاب الله حق الفهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .
هى اللغة التى تحمل ماضينا الثقافى ، وبتلك اللغة جاء القرآن الكريم ، وجاءت أحاديث الرسول عليه السلام (٢)

الخلاصة : حقائق لا تقبل الجدل .
١ـ ارتباط مقدس بين القرآن الكريم واللغة العربية
٢ـ يستحيل فهم القرآن واستيعاب مراميه إلا باتقان العربية
٣ـ تمام الإيمان فى تعلم اللغة العربية وإتقانها وأن ذلك فرض على المسلم مهما كانت جنسيته ، ومهما كان موقعه وهذا يقودنا الى أن اللغة العربية هى :
١ـ وسيلة المناجاة بين المسلم وربه بتلاوة القرآن الكريم .
٢ـ وسيلة التطبيق الدقيق للدستور الإسلامى .
٣ـ شعار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

---

(١) التراث والحضارة د . نعمات أحمد فؤاد كتاب الهلال صـ ١٧٢ .
(٢) مقال بذور وجذور تحت عنوان " وقفة علمية هادئة " صحيفة الاهرام ١٥ / ١٢ / ١٩٨٧

٤ـ وسيلة التفاهم والتقارب بين الشعوب الإسلامية .

٥ـ وسيلة الرقى والتحضر والقوة .

المطلوب : ـ

على المسلم أن يجيد اللغة العربية ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا اذا أجاد القراءة والكتابة ، فالإسلام لا يقبل الأمية ، ولا يقبل الجهل ولا يقبل التخلف والتأخر فكرامة المسلم مستمدة من تعليمه وتربيته ، وكلاهما مستمدان من كتاب الله المحكم ، ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما نناقشه فى الفصول التالية .

الأميـة والأمى

" أمية الرسول إعجاز وليست قدوة للمسلمين "

الأمية والأمى

قال تعالى :

" الذين يتبعون الرسول النبى الأمى "	١٥٧ ـ الأعراف
" فآمنوا بالله ورسولة النبى الأمى الذى يؤمن بالله "	١٥٨ـ الأعراف
"منهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى "	٧٨ ـ البقرة
" وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم	٢٠ ـ آل عمران
" ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل "	٧٥ ـ آل عمران
" هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم "	٢ ـ الجمعة

هذة الآيات الست الكريمة التى وردت بها لفظة " الأمى والأميين فى القرآن الكريم ، ومن خلال معاجم اللغة العربية ، وكتب التفاسير المباركة نتبين فى إيجاز أن :

١ـ الأمى : الذى لا يعرف القراءة والكتابة من الذكور .

٢ـ الأمية : التى لا تعرف القراءة والكتابة من الإناث .

٣ـ الأميون : أ) تطلق على المجموعة من الذكور والإناث الذين لا يعرفون القراءة والكتابة .

ب) أو . . المراد بالكلمة العرب ، لأنهم أمة أمية لا يعرفون الكتابة والقراءة .

أما لماذا سمى الذى لا يعرف القراءة والكتابة أميا ؟ فقد جاء فى لسان العرب ، قال الزجاج : الأمى الذى على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته أى على فطرته وطبيعته ، كما قال تعالى :

" ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى "

وكما جاء فى الحديث الشريف : قال صلى الله عليه وسلم :ـ

" أنا من أمة أمية لا نكتب ولا نحسب (١)"

---

(١) تفسيرا بن كثير صـ ١٦٧ طبعة (الشعب)

أى أراد صلى الله عليه وسلم . . أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب . وكما قال صلى الله عليه وسلم :ـ

" بعثت إلى أمة أمية " (١)

وأما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أميا الى أمة أمية ، لحكمة بالغة أرادها الله سبحانه وتعالى ـ قد تعظم على الأفهام ، وقد ثبتت وتأكدت هذه الحكمة البالغة على مدى تطور البشرية وزادت الحكمة وضوحا كلما تقدم الإنسان حضارة وارتقاء بفضل الاكتشافات العلمية الجبارة فى جميع مناحى الحياة .

.. وكيف يكون ذلك ؟

النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم . الوحيد بين الأنبياء جميعهم عليهم السلام ، الذى كان أميا . . ومع هذه الأمية فقد بعث الى الناس كافة :

" وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ٣٤ـ سبأ

" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " ٢١ ـ الأنبياء

فقاد العرب الأميين الذين يدينون بالنظام القبلى فيه الحكم للأقوى ظلما وعتوا وطغيانا ، حياة كلها فوضى واضطراب ، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم منهم أمة إيمان وإصلاح وبناء . ثم اتجه الزحف الحضارى الإسلامى رافعا منارة السلام والحضارة والرقى وعمارة الكون فأمية الرسول صلى الله عليه وسلم إعجاز مدى الحياة وإلى أن يشاء الله والآية القرآنية الكريمة أكدت هذه الصفة فيه ، صفة الأمية ، قال تعالى : " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون " ٤٨ ـ العنكبوت

فكيف تكون أمية الرسول إعجازا ؟

١ـ فى تفسير محمد رشيد رضا : " ولم ينقل أن الله بعث نبيا أما غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، فهو وصف خاص لا يشارك محمدا ـ صلى الله عليه وسلم فيه أحد من النبيين ، والأمية من أكبر آيات نبوته فإنه جاء بعد النبوة بأعلى العلوم النافعة ، وهى ما يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم وآدابهم وأعمالهم وأحكامهم ، وعمل بها فكان لها من التأثير فى العالم مالم يكن ولن يكون لغيره

---

(١) لسان العرب صـ جـ ١ طـ دار المعارف

من خلق الله " أ هـ (١)

٢ ـ جاء فى لسان العرب :" وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه صلى الله عليه وسلم ـ تلا عليهم كتاب الله منظوما ، تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص ـ فحفظه الله عز وجل على نبيه كما أنزله ، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التى باين بينه وبينهم بها ، ففى ذلك أنزل الله تعالى :

" وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون " أى الذين كفروا ، ولقالوا : إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب " أ هـ (٢)

٣ـ جاء فى الأحاديث المذاعة لفضيلة الشيخ محمد المتولى الشعراوى ، أن كل إنسان يتميز بأسلوب خاص به فى التعبير ، ويتساوى فى ذلك المتعلم والأمى والاختلاف بينهما فى طريقة التعبير وصياغة العبارة ، ومن المستحيل أن يكون الإنسان مهما كان ذكاؤه ، ومهما كانت درجته العلمية ، أكثر من طريقة واحدة خاصة به يتميز بها فى التعبير كلاما أو كتابة ، ما عدا الرسول صلى الله عليه وسلم النبى الأمى فقد كان له من أساليب التعبير أربعة ،ولكل أسلوب نظامه وموسيقاه وفصاحته وبلاغته دون أن تختلط ببعضها ، وهى :

أ ـ جاء على لسان النبى الأمى القرآن الكريم بأسلوب متميز لم يتغير فى حرف من أول آية إلى آخر آية نزلت منه .

ب ـ أحاديث النبى الأمى فى السنة النبوية الشريفة لها نمطها الخاص بها وطريقتها فى التعبير

---

(١) تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا صـ ٢٩٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) من خلق الله " أ هـ

بحيث تختلف عن نظم القرآن الكريم تماما .

جـ ـ الأحاديث القدسية التى تميزت باتجاه معين من حيث الغرض والتعبير والتى اختلفت عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

د ـ حديث الرسول المتداول بينه وبين الناس فى أمور المعايش والحياة اليومية . ومستحيل أن يتأتى هذا لإنسان مهما كان موسوعى الثقافة واللغة ويصل الليل بالنهار فى القراءة والكتابة والبحث المرير ولو تمتع بالذكاء الخارق . فما بالك أن تتأتى هذه القدرة للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمى لايقرأ ولايكتب محدود الإقامة داخل مناطق معينة فى الجزيرة العربية تحت سمع وبصر الجميع
٤ ـ أثار القرآن الكريم على لسان النبى الأمى صلى الله عليه وسلم أخطر القضايا العلمية فى جميع مناحى الحياة ، حول الكون سماء وأرضا وحول الإنسان نشأة وتكوينا وخلقا وحول الحيوان والنبات والمخلوقات الدنيا ، بل أثار أدق التفاصيل حول بعضها مما أثبته العلم وحققه بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ، ومازال العلم حاضرا ومستقبلا يكتشف أسرار هذه القضايا التى أثيرت على لسان النبى الأمى صلى الله عليه وسلم .
٥ ـ النبى الأمى صلى الله عليه وسلم خلق من الفوضى نظاما وجعل البدو المتفرقين فى أحناء الجبال والوديان أمة تبنى وتعمر يستمدون منه صلى الله عليه وسلم الإرشاد والتوجيه ، فيكون التنفيذ على أدق وجه بإيمان مطلق بالله سبحانه ، وبه صلى الله عليه وسلم لدرجة أنهم كانوا يتقاتلون على قطرات من ماء كانت تسقط من يديه الشريفتين أثناء وضوئه ، وفى هذا يقول توماس كارليل : ـ (١)
" قوم يضربون فى الصحراء عدة قرون لايؤبه بهم فلما جاءهم النبى العربى أصبحوا قبلة الأنظار فى العلوم والمعرفة ، وكثروا بعد قلة وعزوا

---

(١) عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد (طبعة مدرسية)

بعد ذلة ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وقلوبهم (١)

٦ - هذا النبى الأمى صلى الله عليه وسلم خاطب القلوب والعقول كخبير منقطع النظير بالنفس البشرية ، وعرف الطريق الصحيح بصفاء سريرته إلى إقناع البشر برسالته ، فقد جاء فى كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل :

" لذلك كانت الوسيلة إلى إقناع الناس كافة برسالة محمد أوثق ماتكون اتصالا بقلوبهم وعقولهم ، فجعل القرآن ، حجته البالغة معجزة النبى الأمى إليهم ، وجعل انتصار دينه وقـوة الإيمـان به آيتين من طريق الدليل اليقينى والاقناع الصادق "أهـ (٢) .

مع هذه الأمية المعجزة كان النبى الأمى صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس جميعا على تعليم المسلمين القراءة والكتابة . وإجادتها إجادة تامة لتحصيل العلم الدينى والدنيوى حتى يكونوا العباد الصالحين الذين يستحقون ميراث الأرض ، كما قال تعالى فى سورة الأنبياء . الآية ١٠٥ : ـ

" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " فكيف تكون وراثة الأرض بغير هذا ؟! .

وقد جاء فى تفسير محمد رشيد رضا للآية الكريمة من سورة البقرة .

" ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون "

" فإن الأمى قد يتلقى العلم عن العلماء الثقات ويعقله عنهم بدليله فيكون علمه صحيحا ، إنما العلم بالدليل ولا يسمى مثل ذلك علما إلا من لايعرف معنى العلم . الآية تدل على بطلان التقليد وعدم الاعتداد بايمان صاحبه . ومن قوله فى تفسير " الأمانى " أى أنهم لاحظ لهم من الكتاب إلا قراءة ألفاظه من غير فهم ولا اعتبار يظهر أثرها فى العمل فهو على حد " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (٥ : الجمعة) وقد ورد (التمنى) بمعنى القراءة كقول الشاعر : ـ

تمنى كتاب الله أول ليلة .. تمنى داود الزبور على رسل

---

(١) أبو بكر الصديق ـ محمد حسين هيكل ـ طبعة (دار المعارف)
(٢) حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ـ (دار المعارف)

وهذا النوع من التمنى قد برز فيه المسلمون حتى سبقوا من قبلهم من الأمم ، فقد أمسوا أكثر الأمم تلاوة لكتابهم وأقلهم فهما له واهتداء به " أهـ (١)

وقد جاء فى كتاب الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوى : -

" ومن هذه التعاليم التى تهيىء تربة المجتمع لظهور التفكير والبحث العلمى ونشر التعليم ومطاردة الأمية ، ولهذا حرص النبى صلى الله عليه وسلم علة محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الأمم بالأميين وهكذا أسماهم القرآن " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم " (٣ - الجمعة) والرائع هنا أن هذا النبى الأمى فى هذه الأمية ، كان أول من مجد القلم وعمل على إشاعة الكتابة ، ومحو الأمية بين أتباعه بكل سبيل ".

" والكلام مستمر للدكتور القرضاوى فى إيجاز :

١ - فإن أول آيات أنزلت عليه من ربه تضمنت التنوية بالقراءة والقلم والتعليم " اقرأ باسم ربك " (سورة العلق) وثانى سورة من القرآن العظيم " ن ، والقلم وما يسطرون ".

٢ - جعل فداء الأسير تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

٣ - كان الرسول يحرص على تعليم المسلمين القراءة والكتابة إلى درجة الإتقان حتى لاينسى ويرتد إلى الأمية من جديد .

٤ - لم يمنع النبى صلى الله عليه وسلم المشركين من تعليم المسلمين القراءة والكتابة .

٥ - لم يقف حث النبى صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة عند الرجال فقط بل شمل النساء أيضا وقد علّمت (الشفاء بنت عبد الله أم المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة " (٢) أ هـ

---

(١) تفسير المنار - محمد رشيد رضا صـ ٢٩٧ - الهيئة العامة للكتاب .

(٢) كتاب الرسول والعلم - يوسف القرضاوى

الخـلاصـــة :

أمية الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصية تفرد بها ، ويحـرم علـى المسلم الاقتداء بها ، لمخالفتها النصوص القرآنية والسنة النبوية .

أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، دليل على : –

١ـ أن القرآن الكريم دستور المسلمين وكلام الله المحكم .

٢ ـ أن علم الرسول صلى الله عليه وسلم علم ربانى .

٣ ـ عجز العرب أمام فصاحة وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم . فى لغتهم العربية .

إذن : إجادة القراءة والكتابة مطلوبة من المسلم والمسلمة صغيرا كان أو كبيرا ، وهذا مايتضح لنا فى الفصول التالية ...

القراءة و الكتابة ـــ لغة ومعنى

(الكتابـــة والقـــراءة صنـــوان متـــلازمان)

القـــراءة والكتـــابـة لـغـــة ومـعـنى

القراءة :

قرأت الكتاب قراءة وقرآنا ، وسمى كلام الله قرآنا لهذا . . والأصل فى لفظة قرأ أنها بمعنى الجمع وهى جمع الحروف بعضها إلى بعض . . وكل شئ جمعته فقد قرأته . . وسمى القرآن قرآنا لأنه جمع بين السور وبعضها وبين أوامـر اللـه ونواهيه وقصص الأنبياء والوعد والوعيد والخلق والسلوك الى آخره .

ومن معانى القراءة الدراسة ، والتنسك والتفقه . . ويقـال قرأت أى صـرت قارئا ناسكا ، قرأ الكتاب قراءة وقرآنا أى تتبع كلماته نظرا ونطق بها وقرأ الآيـة من القرآن أى نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ فهو قارئ وقـرأ قـراءة أبلغـه إياه .(١)

اذن .. القراءة تعنى : الجمع بين الحروف والجمع بين الكلمات لتستوى المعانى المرادة فى خيط واحـد .. وأيضـا التنسـك والتنسـك التعبـد للـه سبحانه . وأيضا التفقه والتفقه أى الفهم الجيد بوعى وبعمق لكلام الله فى قرآنه وفى كتـاب الحياة من مظاهر الحياة الدنيوية وما وراءها من حياة أخروية .

وقد وردت مشتقات لفظة القراءة فى القرآن الكريم فـى سبع عشـرة آيـة وجـاءت كلمة القرآن فى واحدة وسبعين آيـة .. ممـا يدلـل علـى حتميـة القـراءة فهـى فهم وتعرف . وهى تعبد وتنسك .. وهى تفقه ووعى .. وقد تكون القراءة بالاسـتمـاع وقد تكون بالنقل مشافهة دون معرفة الحروف والكلمات وإن كان هـذا مقبـولا فـى بداية الدعوة الإسلامية إلا أنه بعد ذلـك غير مقبـول ولا يتفـق مـع دعـوة القـرآن الكريم ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لسان العرب صـــ٣٥٦٣ (قرأ) .

فالقراءة تقوم على التعرف على الحروف والكلمات وإجادة نطقها والوعى بالمعانى التى تحتويها الألفاظ والجمل عن طريق البصر والسمع والعقل وتشير إلى بعض الآيات الكريمة السبع عشرة التى وردت فى القرآن الكريم ..

قال تعالى :

" فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " ٧٥ ـ القيامة

" ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به ،مؤمنين " ١٩٩ ـ الشعراء

" وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث" ١٠٦ـ الاسراء

" ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه " ٩٣ ـ الاسراء

" فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك " ٩٤ـ يونس

" اقرأ باسم ربك الذى خلق " ١ ـ العلق

" اقرأ وربك الأكرم " ٣ـ العلق

" علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر القرآن ٢٠ ـ المزمل

" وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه " ٢٠ـ المزمل

" سنقرئك فلا تنسى " ٦ـ الأعلى

التلاوة :

تلوت القرآن تلاوة أى قرأته . وتلا يتلو تلاوة يعنى قرأ قراءة ، وقوله تعالى :" الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته " أى يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله . تلا تلوا أى اتبع ، وتلا الكتاب والسنة : أى اتبع ما فيهما (١)..

اذن .التلاوة أفادت معنى جديدا للقراءة وهى القراءة الجيدة ، من حيث الأداء والفهم والوعى بالمعانى مع تنفيذ ما دعا إليه مضمون القراءة فى إتقان

(١) لسان العرب جـ١ صـ ٤٤٤ (تلا) طـ دار المعارف

وإخلاص . ومشتقات لفظ التلاوة وردت فى ثلاث وستين آية من القرآن الكريم .نتشرف ببعضها ، قال تعالى :

" قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به " ١٦ ـ يونس
" قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم " ١٥١ ـ الأنعام
" وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه " ٩٢ ـ النمل
" وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا " ٦١ ـ يونس
" وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ٤٨ ـ العنكبوت
"أتأمرون الناس بالبروتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب "
٤٤ ـ البقرة
" ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم " ٥٨ ـ آل عمران
" تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين "
٢٥٢ ـ البقرة
" إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا "
١٠٧ ـ الاسراء

بتأمل اللآيات الكريمة التى اشتملت على مشتقات لفظ القراءة ومشتقات لفظ التلاوة تجدها دعوة صريحة إلى القراءة بصرا وسمعا وعقلا ، فمن فقدها فقد فقد جزءا كبيرا من الإيمان بالله ورسوله والدعوة الإسلامية ـ إن لم يكن كل الإيمان ، فالقراءة الجيدة الواعية أول عمود أساسى فى بناء إيمان وشخصية الإنسان .

الترتيل :

قال تعالى : " كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا " ٣٢ ـ الفرقان
" أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا " ٤ ـ المزمل

الـتـرتـيـــل من :

ورتل يرتل رتلا أى استوى وانتظم وحسن تأليفه ، رتل الشىء أى نسقه ونظمه ، ورتل الكلام أى أحسن تأليفه أو جود تلاوته ، الرتل أى الطيب من كل شىء أو الحسن من الكلام (١)

الرتل أى حسن تناسق الشىء ، وكلام رتل أى مرتل حسن على تؤدة ، الترتيل فى القراءة أى الترسل فيها والتبين من غير بغى ، قال تعالى : " ورتل القرآن ترتيلا " قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبين والتمكين

(أراد فى قراءة القرآن) .

وقال أبو اسحاق : والتبين لا يتم بأن يعجل فى القراءة ، وإنما يتم التبين بأن يبين جميع الحروف ويوفيها حقها من الإشباع .

وفى صفة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يرتل آية أية ، ترتيل القراءة التأنى فيها ، والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل (حسن التنضيد أى استواء الأسنان وبياضها وكثرة مائها) (٢)
إذن رتل القرآن ترتيلا : إذا ترسل فى تلاوته وأحسن تأليف حروفه ، وهو يترسل فى كلامه ويترتل (٣)

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ (رتل) مجمع اللغة العربية .
(٢) لسان العرب جـ ٣ (رتل) مجمع اللغة العربية .
(٣) أساس البلاغة للزمخشرى صـ ١٥٤ ط بيروت [دار لبنان]

وخلاصة ما سبق أن :

١ـ القراءة الجمع بين الحروف والجمع بين الكلمات مع الفهم الجيد وبعمق .
٢ـ التلاوة : القراءة مع تنفيذ ما يدعو إليه مضمون القراءة .
٣ـ الترتيل : إعطاء القراءة حقها من التأنى وبيان الحروف مع حسن إخراجها من مخارجها مع الأداء الجيد .

فالقراءة والتلاوة والترتيل : أى القراءة الجيدة الأداء ، والسليمة النطق ، الواعية بمضمون المقروء .
وكل هذا مطلوب من المسلم ، بنص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

الكتابة :

كتب الكتاب كتبا وكتابا وكتابة أى خطه ، أكتبه وكتبه أى علمه الكتابة وتكتب أى تجمع ، وتكتب الجيش أى تجمع الجيش .

والكتاب أى الحكم ، ومنه " لأقضين بينكما بكتاب الله " أى بحكم الله ، والمكتب أى المعلم ، وقال اللحيانى : هو المكتب الذى يعلم الكتابة ، وقال الحسن : كان الحجاج مكتبا بالطائف يعنى معلما وقال ابن الأعرابى : الكاتب عندهم العالم ، قال تعالى : " أم عندهم الغيب فهم يكتبون " (١)

إذن، الكتابة لها معان متعددة كلها توصل إلى هدف واحد فهى : الخط ، والتجميع ، والحكم ، والتعليم ، والعلم ، ولا بقاء لعلم دون كتابة ، وجاء فى إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى : ـ
" قال صلى الله عليه وسلم : " قيدوا العلم بالكتاب " وشكا رجل إلى الرسول النسيان فقال صلى الله عليه وسلم : " استعمل يدك أى اكتب وجاءت لفظة الكتابة فى سبع وخمسين آية ، وجاءت لفظة الكتاب فى مئتين وستين آية كريمة ، نتشرف ببعضها ، قال تعالى : ـ

(١) لسان العرب صـ ٣٨١٧ (كتب) طـ دار المعارف

" فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون "
٧٩ ـ البقرة

" وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وهدى "
١٤٥ ـ الأعراف

"ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله "
٢٨٢ ـ البقرة

" وليكتب بينكم كاتب بالعدل " ٢٨٢ ـ البقرة
" ستكتب شهادتهم ويسئلون " ١٩ ـ الزخرف
" فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا " ٣٣ ـ النـــور
"يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة " ١٢٩ ـ البقرة
" فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون الكتاب " ٧١ ـ الاسراء
" الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل " ١٥٧ ـ الأعراف

السطـر :ـ

السطر أى الخط والكتابة ، وسطر يسطر إذا كتب ، سطرها أى ألفها والسطر أى الصف من كل شىء ، ويقال سطر من الكتابة (١) .

ووردت مشتقات لفظة (السطر) فى أربع عشرة آية منها :ـ

" ن" ، والقلم وما يسطرون " ١ـ القلم
" والطور وكتاب مسطور فى رق منشور " ٢ـ الطور
" كان ذلك فى الكتاب مسطورا " ٥٨ ـ الاسراء

إذن ، سطر : بمعنى خط وكتب ، وزادت بمعنى انتظار الخط فى سطور . وعلى هذا ، فالكتابة والتسطير : بمعنى الخط والتجميع فى سطور منتظمة ، وكلاهما مفروض على المسلم ، كما هو واضح من النصوص

---

(١) لسان العرب صـ ٢٠٠٧ (سطر) دار المعارف

وعلى هذا ، تتضح حقيقة لا جدال فيها ، أن القراءة والكتابة صنوان متلازمان يستحيل الفصل بينهما ، كما أن كليهما أساس فى تمام إيمان المسلم وشخصيته .



الخط العربى والكتابة :

الحديث عن الكتابة يشدنا إلى الحديث عن الخط العربى وأهميته حيث وصل الخط الى أسوأ حالاته اليوم . بعد أن كانت له قداسته وروعة تنسيقه ، وانسجام حروفه فى جمال أخاذ :

١ـ الكتابة العربية تطورت تطورا يدل على حضارة راقية تتميز بالذوق والجمال ، ومدى اهتمام الكاتب العربى بخطه .

" فالخط لسان اليد فهى التى كتبت وأبدعت وشكلت فنونه ، أما قصة الكتابة فهى قصة الحضارة نفسها ، نراها فى كل مكان ونجدها أينما أينعت المدينة ، وازدهر الرقى ، والكتابة وجدت لحاجة الإنسان إليها تطورت معه وارتفعت بارتقائه وأخذت سبيلها إلى قمتها مع تقدمه العقلى والذوقى ، ولا توجد حضارة أولت فن الخط ذلك الاهتمام القيم مثل حضارة الشرق الإسلامى "(١)

٢ـ كما أن الكتابة اكتسبت قداسة ، وصارت وسيلة تعبير ، حينما تسابق الصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ إلى كتابة الوحى أولا بأول مع الحرص الشديد على دقة الكتابة ، وحسن الخط ووضوحه ، قال القرطبى : ـ

" ومن هنا التزم المسلمون بكتابة الوحى وحفظ القرآن فى الفؤاد وبواسطة الخط الذى وقع فى نفوسهم موقع الالتزام وموقع الحق ، الأمر الذى نجده فى أقوالهم (الخط الحسن يزيد الحق وضوحا) (٢)

---

(١) مجلة عالم الفكر يناير ١٩٨٣ صـ ١٦٥

(٢) بهجة الجالس وأنس المجالس ـ عبد البرالقرطبى صـ ٣٥٧ ـ القاهرة ١٩٦٢ .

٣ـ تجويد الخط فى الكتابة يظهر المعانى ويوضح الأفكار فمهما كانت قيمة الأفكار وسموها ، يضيعها الخط الردىء وعلى هذا ارتبطت الكتابة والخط بوضوح المعانى والأفكار .

قال القلقشندى : " أما الموازنة بين الخط واللفظ ، فالأصل فى ذلك أن الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها من حيث أن الخط دال على اللفظ والألفاظ دالة على الأفكار .

ولا شتراك الخط واللفظ فى هذه الميزة وقع التناسب بينهما فى كثير من أحوالهما وذلك لأنهما يعبران عن المعانى ، إلا أن اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو إن كان ساكنا فإنه يفعل فعل المتحرك بإيصاله كل ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقر فى حيزه قائم فى مكانه كما أن اللفظ فيه العذب الرقيق السائغ فى الأسماع ، كذلك الخط فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور " (١)

٤ ـ كما أن الكتابة لغة يفهما الجميع مهما اختلفت الأصقاع ، ومهما اختلفت اللهجات ، فإذا أجيدت ووضح خطها ، كانت دعامة من دعائم الوحدة الإسلامية . فالعالم العربى على امتداده كل إقليم منه يتميز بلهجة خاصة به ، قد يتعذر على الإقليم الآخر فهمها ، مع العلم أن لغة الكل اللغة العربية .

إذن ، لغة الكتابة لغة مفهومة عند قراءتها فى أية بقعة من بقاع العالم العربى أو العالم الإسلامى .
قال الدكتور عمر فروخ : " وعلى الرغم من أن لكل صقع عربى لهجته يتكلمها أهلها ، فإن أهالى الأصقاع المختلفة يتفاهمون بلغة الكتابة إذا تحدثوا ويفهمونها إذا قرئت عليهم ولوكانوا أميين (٢)

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندى صـ ٥
(٢) مجلة الأدب والفن د . عمر فروخ فى مقال الثقافة العربية جـ ٤ صـ ٢٠ ، ٢١ السنة الاولى لندن ١٩٤٤ .

لذا توالى الاهتمام بالخط العربى فى جميع أنواعه وأشكاله حتى صار علامة بارزة من معالم الحضارة الإسلامية ، وحتى أن دولا إسلامية كتركيا كان لها السبق فى هذا المضمار ، ومن الأقوال المأثورة للمستشرق " أوغور دورمان " : ـ

" إن فى العالم الإسلامى مثلا سائرا يقول : نزل القرآن فى الحجاز ، وقرىء فى مصر ، وكتب فى استانبول ، والواقع أن معجزة القرآن كتحفة فنية لم تنعكس على الورق إلا فى استانبول ، وكذلك اللآلىء من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكتب مثل حبات اللؤلؤ إلا فى هذا البلد أيضا" (١)

أهمية اليد :

الخط العربى يبين لنا أهمية التدريب عليه منذ الصغر ، وتنمية دقة الملاحظة وتنمية الإحساس باللمسة الجمالية فى كل حركة من حركات الخط العربى ، لذا ـ تلعب اليد البشرية دورا خطيرا فى إجلاء الخط فى أحسن صوره ، إذا توفرت الموهبة والمران الدائم وحتى إذا لم تتوفر الموهبة فإن المران يخضع لقواعده وأصوله فتتضح المعانى وتجلو الأفكار ، كتب الأستاذ محمود حلمى :

" وإذا كان هذا التراث قد اندفع إلى الوجود عن طريق العقل والوجدان فقد سبقتهما فى ذلك (اليد) التى أبدع الله تكوينها ، وصاغ شكلها وأودع أطراف أصابعها ، سر الوجود وحقيقة الحياة ومستقبل الإنسان .
وهذه اليد كالقلب والعقل ذكرها الله فى محكم كتابه فى مئة وواحدة وعشرين آية ، جاءت متفرقة فى العديد من السور القرآنية ، وتأخذ حقيقة (اليد) كما خلقه الله فيما تأخذ لتكون صانعة لاستمرار الإنسان ودوامه ومكونة لحضارته ، وممهدة لوجوده ، ومثلته لحياته على هذه الأرض كأرقى المخلوقات " (٢)

---

(١) كتاب الأتراك فى الفن الاسلامى ، مقال مكانة الأتراك فى الخط الاسلامى صـ ٢٢ (أوغور دورمان)
(٢) الخط بين الفن والتاريخ صـ ١٦٣ ـ مجلة عالم الفكر يناير ١٩٨٣

ورحم الله الأستاذ الإمام محمد عبده حين قال : ـ

" وإذا كان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى ، فإن الخط المجرد وسيلة اليد الشاعرة التى تسمع وترى " (١)

الخلاصة

القراءة تتطلب الأداء الجيد نطقا ووعيا .

والكتابة تتطلب الخط الحسن والواضح .

والخط يتطلب المهارة اليدوية .

والمسلم مطالب بها جميعا .

(١) المصدر السابق صـ ١٧٣

كرامة الإنسان

" لاكرامة لإنسان مالم يجد القراءة والكتابة إجادة واعية مستنيرة "

كرامـة الإنســـان

خلق الله ـ سبحانه ـ الإنسان ، وجعله أفضـل خلقـه علـى الإطـلاق حتـى قيـل وعلى الملائكة أيضا ، وذلك بمـا منحـه مـن عقـل وإرادة ، عقـل يعقـل بـه مـايراه وإرادة ضابطها العقل . وله الحرية المطلقة احتراما لهذه النعمة الجليلة والخطيرة نعمة العقل ، حتى لدرجة حرية الاختيار بين الإيمان والكفر . فقد قال تعالى :
" فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكـفـر " (الكهف ـ ٢٩) تـأكيدا واحترامـا لهـذه الحريـة المكللـة بـالعقل ، وحيـث وجـد الاختيـار ترتـب علـى ذلــك الحســاب والجزاء .

ولشخصية الإنسان صفات عددها الكثيرون مـن علمـاء النفس وعلمـاء الاجتمـاع بالعشرات ، والقرآن الكريـم حددهـا وبينهـا قبـل الجميـع بقـرون عـدة أى قبـل أن تعرف العلوم الإنسانية . منها : ـ

١ ـ الخلقة والصورة والزينة :

فالله ـ سبحانه ـ اهتم بشخصية الإنسان من حيث الخلقة والصورة فى ست آيات كريمة ، منها : قال تعالى :
" الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ركبك " ٨ الانفطار
" ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " (الأعراف)

فالخلقة والصورة جعلت الإنسان فى مرتبة خاصة فوق مخلوقاته قاطبة
" ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " ٤ ـ التين
وترتب على ذلك دعوة الله سبحانه وتعالى .
" يابنى آدم خذوا زينتكم " ٣١ ـ الأعراف
" قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق " ٣٢ ـ الأعراف

٢ ـ العقـل والإرادة :

تفضل جل جلاله بمنح الإنسان العقل الذى ميزه على سائر مخلوقاتـه فقـد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى تسع وأربعين آية كريمة منـها :

" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ٣ ـ يوسف

" تلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون " ٤٣ ـ العنكبوت

" إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " ٤ ـ الرعد

وجاء فى إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى : قال صلى الله عليه وسلم (١) :ـ

" لا دين لمن لاعقل له "

" لا يعجبكم إسلام امرىء حتى تعرفوا عقله "

" ما خلق الله خلقا أكرم من العقل "

" وترتب على ذلك حرية الإرادة ، والدعوة الى البحث والتأمل والاستنباط والقياس ، والعلم فى مختلف ميادينه "

٣ـ العلم والايمان والعمل :

العلم من المكونات الأساسية فى شخصية المسلم ، فلنتأمل ما جاء فـى كتـاب شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم للدكتور مصطفى عبد الواحد :

إن العلم فى نظر المسلم هو قمة الهدى التى يبلغها الإنسان وهـل الإيمـان إلا نوع من العلـم باللـه ، وتصحيـح النظـرة إلـى الكـون والحيـاة ، محوطـا بالحقـائق والدلائل ؟ ولهذا يجعله القرآن مقابلا ـ للكفر الذى هو جهل وضلال ..

" قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإنما يتذكر أولو الألباب "

٩١ ـ الزمر

إن المعركة مع الكفر هى معركة مع الجهل والخرافة ، اذ يقوم الكفـر علـى أوهـام وأكاذيب لا سند لها ولا برهان :

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى صـ ٧٦ (دار مصر للطباعة) .

" قل أرأيتم مـا تدعون مـن دون اللـه ، أرونـى مـاذا خلقـوا مـن الأرض أم لهـم شـرك فـى السموات ، ائتونـى بكتـاب مـن قبـل هـذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين " ٤ ـ الأحقاف

ومن هنا كان شقاء الجاحدين حين اتبعوا أهواءهم وقدسوا أوهامهم ولم يبحثوا عن الحق ولم يتحروا الصواب .

" بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله "
٢٩ ـ الروم

وذلـك مـا يجعل المسلم حريصـا علـى العلـم معـولا عليـه فـى بلـوغ الحقيقـة واستقامة الطريق "(١)

إذن .. العلم قاعدة جوهرية فى بناء شخصية المسلم ، وإقامـة إيمانـه بالله على أساس حق صادق بالأدلـة والبراهين بجـانب فرضيـة العلـم علـى المسلمين جميعا ذكورا كانوا أم أناثا ، فرضية صريحة وفرضية ضمنية وإليك بعض الآيـات التى أثارت أخطر وأدق القضايا العلمية المعـاصرة والمستقبلية منـذ أربعـة عشـر قرنا من الزمان : قال تعالى :ـ

" وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة " ٩٨ ـ الأنعام
" أو لم يتفكروا فى أنفسهم " ٨ ـ الروم
" فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق " ٥ ـ الطارق
" ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين " ١٣ـ المؤمنون
" ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة " ١٤ ـ المؤمنون
" إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه " ٦ـ الانسان
" نحن أقرب إليه من حبل الوريد " ١٦ ـ ق
" ثم لقطعنا منه الوتين " ٤٦ ـ الحاقة
" فانظر الى العظام كيف ننشرها ثم تكسوها لحما " ٢٥٩ـ البقرة
" فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا " ٢٤ ـ عبس
" انظروا الى ثمرة اذا أثمر وينعه " ٩٩ ـ الأنعام

---

(١) شخصية المسلم ـ د . مصطفى عبد الواحد صـ ٢٢٢

" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء " ٢٧ ـ ٢٨ـ فاطر

" قل انظروا ماذا فى السموات والأرض " . ١٠ ـ يونس

" قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق "

٢٠ ـ العنكبوت

" ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين "

١٦ـ العنكبوت

" سنريهم آيتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق "

٥٢ـ فصلت

وغيرها كثير من الآيات الكريمة التى تثير أدق وأخطر النظريات والقضايا العلمية والتى يستغرق بحثها مجلدات ضخمة وأزمانا ليست بالقصيرة ، ومازال المستقبل مفتوحا على مصراعيه للعلم ومتأملية وباحثيه وعلمائه ، كل هذا مسخر للإنسان الساجد لله وحده .

قال أبو حامد الغزالى : " وقد أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا تحصل إلا بالعلم جميعا ، وإن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل ، وكأن العمل متمم له وسائق بالعلم إلى أن يقع موقعه ولأجله ، قال تعالى : " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " والكلم الطيب يرجع الى العلم عند البحث فهو الذى يصعد ويقع الموقع والعمل كالخادم له يرفعه ويحمله ، وهذا تنبيه على علو رتبة العلم .. غير خاف ربط النجاة بالعلم والعمل وبيانه لا يمكن أن يحصى " أ هـ (١).

لذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . قال تعالى :ـ

" وقل رب زدنى علما " ١١٤ ـ طه

---

(١) إحياء علوم الدين للامام الغزالى صـ ٢٣ (دار مصر للطباعة)

وقال صلى الله عليه وسلم :ـ

" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة "

(مسلم وأبو داود والترمذى)

" إن الملائكة لتضع أجنحتها على طالب العلم رضا بما يصنع "

(البخارى وأبو داود والترمذى)

" خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (البخارى)

قالت عائشة رضى الله عنها :ـ

" يا رسول الله متى يعرف الإنسان ربه ، قال : إذا عرف نفسه

(أدب الدنيا والدين للماوردنى)

٤ـ الحكمة والخلق والسلوك :

العلم يؤدى الى الحكمة ، والحكمة قوام الشخصية جاء فى كتاب الشخصية تأليف محمد عطية الابراشى : إن شخصية الإنسان لا تكون متينة إلا إذا زانتها الحكمة والعلم والحزم ، ووضع الأشياء فى مواضعها وقدرها حق قدرها ، والرجل الحكيم هو السديد الرأى البعيد النظر الحسن التقدير ، الذى يعرف الحق فيتمسك به ، ويفعل ما يجب أن يفعل ، ويترك ما ينبغى أن يترك ، ويقول ما يجب أن يقال ، يرى الفرصة فينتهزها ويشعر بالطريق المستقيم فيسلكه ، ويحس نتيجة الشىء ، قبل حدوثها ، ويعامل غيره بما يجب أن يعامل به ، ويحكم على غيره بما يود أن يحكم به عليه ، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه ، واذا حكم على غيره كان حكمه بعيدا عن الأهواء والأغراض وتتمثل فيه النزاهة والعدالة ، كل هذه الصفات نتيجة الحكمة وحسن التقدير ، قال جل شأنه : " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا " وقال صلى الله عليه وسلم : ـ " الحكمه ضالة المؤمن والحكمة صفة أساسية فى تكوين الشخصية السامية ، تحمل الانسان على العمل وفق العقل

، وهى خلاصة ، وأساس كل فضيلة بهـا يتدبـر الإنسـان عواقب الأمـور ، ويمـيز الخير من الشر والحق من الباطل " أ هـ "(١) .

فالخلق والسلوك نابعان من الحكمة ، والحكمة أساسا العلـم ، وكـل شـخصية سوية متميزة ، لابد أن يكون أساسها علما تربت عليه .

٥ـ حسن البيان :

البيان أى الحجة والمنطـق الفصيـح ، قـال تعـالى ـ " خلـق الإنسـان علمـه البيان " أى جعله مميزا حتى انفصل الإنسان ببيانه وتمييزه عن جميع الحيـوان . لذا ـ من سمات الشخصية القوية حسن البيان أى التعبير الجيد الدقيق عن كل مـا يجيش بنفس الإنسان من خواطر وأفكار فى صياغة مؤثرة مقنعة وجاء فى كتـاب الشخصية للإبراشى ـ " كما أن من مقومات الشخصية حسن البيان عند الإنسـان ، فان البيان القدرة عن التعبير عما فى النفس ، وفصاحة اللسان وحسن النطق ، والقدرة على التأثير فى السامع ، والمتكلم من غير تهيب أو تخـوف بحيث يكـون الكلام حلوا رشيقا سهلا عذبا مؤثرا " أ هـ (٢)

٦ـ إجادة القراءة والكتابة :

الخصائص المميزة للإنسان التى أشرنا اليها سابقا يجمعها رابط واحد هو العلم ـ والعلم وسيلته إجادة القراءة والكتابة فمن لم يجد القراءة والكتابة فهو فى موقف لا يحسد عليه ، بل فى نقص مشين ومحل نظرات لها مغزاها غير المقبولة لآدمى أراد أن يكون إنسانا بكيانه فى مجتمع إسلامى عريض . قال تعالى :ـ

" اقرأ باسم ربك الذى خلق " ١ـ العلق

" اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم " ٣ـ العلق

" فاقرءوا ما تيسر من القرآن " ٢٠ـ المزمل

(١،٢) الشخصية ـ محمد عطية الأبراشى .

" ولا تسئموا أن تكتبوه " ٢٨٢ ـ البقرة
" وليكتب بينكم كاتب " ٢٨٢ـ البقرة
" فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا " ٣٣ ـ النور

اذن .. القراءة والكتابة حتمية على كل مسلم ومسلمه ليصل الى الدرجة التى يكون بها إنسانا آدميا ــ بعيدا كل البعد عن مرتبة الحيوان القائمة على الحياة الغرائزية وفقط .

وليس المطلوب مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة ولكن إجادتها إجادة واعية مستنيرة ، يرتبط بالحياة الواقعية ويتفاعل معها أولا بأول مع تطورات المجتمع السريعة فى حدود ما أمر به القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم " ١٥١ ـ الأنعام
" وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه " ٩٢ ـ النمل
" الذين يتلون الكتاب يتلونه حق تلاوته " ١٢١ ـ البقرة
" يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة " ١٢٩ ـ البقرة
قال صلى الله عليه وسلم :" رحم الله أمرأ أصلح من لسانه " (١)
قال عبد الحميد الكاتب :" البيان فى اللسان والبنان " (الأصابع)

٧ـ عزة المسلم :

إجادة القراءة واجادة الكتابه صنوان لايمكن التفرقة بينهما ويجب الحرص عليهما إذا أراد الإنسان أن يرتفع عن المهانة والذلة فى عصور التقدم العلمى الجبار ، وأن يكون عزيز النفس جديرا بالمسئولية الملقاة على عاتقه فى أداء الرسالة السامية من أداء عمل ورعاية بيت وتربية أولاد وارتباط بالدين والوطن

(١) كتاب النفس الانسانية فى أدب الجاحظ ـ سامى الكيالى (سلسة اقرأ)

وجاء فى كتاب شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم للدكتور مصطفى عبد الواحد :

" يفرض الإسلام على المسلم أن يحتفظ دائما بعزة نفسه وألا يفـرط فـى كرامته ولا يرضى بالدنية والاستكانة ، فإن رضى بالهوان فقـد انحـرف عن طريق الإيمان " أ هـ

قال صلى الله عليه وسلم :" من أعطى الذلة من نفسـه طائعـا غير مكـره فليس منا " (أخرجه الطبرانة)

وقال الشاعر :

إذا أنت لم تعط لنفسك حقها هوانا بها كنت على الناس أهو نا

وعزة الإنسان تكمن فى أن يكون متعلما وعالما فيما تخصص مـن مهنـة وحرفـة .. وقال تعالى :

" ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر " ٧٠ ـ الاسراء

ولنا وقفة أمام هذه الآية الكريمة حول ما تضمنته من معان :ـ

١ـ تفسير الجلالين : " فضلنا بنى آدم بالعلم والنطق واعتدال الخلق .

٢ـ تفسير ابن كثير : يخبر تعالى عن تشريفه لبنى آدم وتكريمه إياهم ، فى خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ، كما قال : : لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم " أى يمشى قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا ، يفقه بذلك كله وينتفع ويفرق بين الاشياء ويعرف خواصها ومنافعها ومضارها فى الأمور الدينوية والدينية " .

٣ـ تفسير الواضح لحجازى :" ولقد كرمنا بنى آدم بالعقل والتفكير فسخرنا له كل شىء فى الكون كالماء والهواء ، والأثير ، وكرمه بأن خلق له

كل مافى السموات والارض وكرمه فى خلقه السوىوقامته المرفوعه . وكرمه بالتكاليف وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وخاصة محمدا صلى الله عليه وسلم " أ هـ

٤ـ الكشاف للزمخشرى : قيل فى تكرمة اين آدم : كرمه بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتبرير أمر المعاش والميعاد ، وقيل بتسليطهم على ما فى الأرض وتسخيره لهم .

فأساس التكريم لبنى آدم العلم أولا ولا علم بلا إجادة للقراءة والكتابة وجاءت مشتقات (التكريم) فى إحدى وخمسين آية كريمة من القرآن الكريم ، منها :

" حاش لله ما هذا بشرا إن هذا الا ملك كريم " ٣١ ـ يوسف
" انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون " ٧٧ ـ الواقعة
" انه لقول رسول كريم " ٤٠ ـ الحاقة
" اقرأ وربك الأكرم " ٣ ـ العلق
" إن أكرمكم عند الله أتقاكم " ١٣ ـ الحجرات
" تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام ٧٨ ـ الرحمن

ولو عرجنا على معاجم اللغة لنتعرف على معانى الكلمة نجد : ـ
لسان العرب : الكريم : الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل واسم جامع لكل ما يحمد . أكرم الرجل وكرمه : أعظمه ونزهه تكرم عن الشىء وتكارم فلان عما يشينه : إذا تنزه وأكرم نفسه عن الشائنات .

والكريم : الذى كرم نفسه عن التدنس بشىء من مخالفة ربه .
قال تعالى : " إنه لقرآن كريم " أى قرآن يحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة .

"هذا الذى كرمت على " أى فضلت .
قال صلى الله عليه وسلم : " ان الكريم ابن الكريم ابن الكرين يوسف ابن يعقوب بن اسحاق ، لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين فهو نبى ابن نبى ابن نبى رابع أربعة فى النبوة " أ هـ (١)

الخلاصة :

من مميزات الشخصية القوية : الوسامة والعقل والعلم والحكمة والبيان ، فالوسامة : حينما خلق الله ــ سبحانه ــ الإنسان علي هذه الصورة الجميلة الفريدة بين مخلوقاته :

" وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات " ٦٤ ـ غافر

فهذه الصورة لم يخلقها لحيوان ـ بالمعنى المتداول ــ بل لإنسان آدمى يعيش على الطيب من الرزق . فهداه الى كيف يحافظ ويكرم هذه الصورة كإنسان متحضر راق من حيث المحافظة على البدن والنفس والروح ، والملبس والسلوك والعلاقات الإنسانية والمعاملات ، ثم منحه العقل والعلم والحكمة والبيان ليبلغ قمة الرقى والتحضر ، وحتى يكون أهلا لحمل الرسالة السامية والتى بها تستمر الحياة وتنتقل من أفضل الى أفضل وتتحقق فى الأرض .

" هو الذى جعلكم خلائف الأرض " ١٦٥ ـ الانعام

" وعد الله الذين آمنو منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض " ٥٥ ـ النور

فاذا ما وصل الانسان الى هذه المرتبه كل فى ميدانه ، استحق عن جدارة أن يشارك فى ميراث الأرض :ـ

" إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده " ١٢٨ ـ الاعراف

" ونجعلكم أئمة ونجعلكم الوارثين " ٥ ـ القصص

" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " ١٠٥ ـ الأنبياء

---

(١) لسان العرب مادة (كرم)

إذن :

الانسان غير القارىء وغير الكاتب يتصف بصفة تشينه وتنقص من كرامته ، بل تنقص من إيمانه بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم فلا يستحق شرف خلافة الله فى الأرض ، ولا يستحق شرف المشاركة فى عمارتها .. بل تحول إلى عالم الغرائز الحيوانية ، عالم الحشرات الدنيا ، وقد يؤدى ـ الجهل بالقراءة الكتابة الى الدمار والهلاك ولمن تبعه ، فلا كرامة لإنسان ما لم يجد القراءة والكتابة إجادة واعية مستنيرة .

القراءة و الكتابة

بين

فـرض عيـن وفـرض كفــايـة

" مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب "

القــــراءة والكتـــــابـــة
بيــن فــرض العيــن ، وفــرض الكـفـايــة

قضية حيث لاقضية مطلقا ، القراءة والكتابة فرض عين أم فرض كفاية ؟ قضية أثارها بعض السلف الصالح ، ولكل فريق رأيه .. فريق أجاز الأمية اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، طالما أنه نطق بالشهادتين وعلم العلوم الشرعية وأحكامها وأقام العبادات (١) .. وفريق رأى أن القراءة والكتابة جائزة حيث إنها الوسيلة إلى تفقه العلوم الشرعية وتطبيقها التطبيق الصحيح الدقيق، والوصول الى ، ما أراده الله سبحانه ـ وما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكل من الفريقين ساق الدليل على صحة رأيه . جزى الله أجدادنا من العلماء أحسن الجزاء ورضى الله عنهم ، فقد أناروا لنا سبل الهداية والرشاد بما قالوا وبما فسروا .. .. وبما كتبوا ، متحرين الدقه خوفا من الله .

ومع ذلك فالشواهد كلها التى ساقها الفريقان تؤكد أن القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة صغيرا أدرك أم كان كبيرا ، ولا يحول بينها وبين تعلمها حائل مهما كان إلا إذا كانت هناك ظروف غير طبيعة ولد عليها الشخص . بحيث لا تمكنه قدراته العقلية من التعليم . أما من أهمل تعلم القراءة والكتابة ـ طالما أنه فى ظروف طبيعة ـ فهو مسؤول أمام الله ورسوله ، مع إجرامه فى حق نفسه وحق مجتمعه ، وفقد كرامته كإنسان .

ونسوق بعض الأدلة الصريحة والضمنية على فريضة القراءة والكتابة

(١ذ) إحياء علوم الدين ـ للإمام الغزالى .

١ـ قال تعالى فى سورة العلق :

" اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، واقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم "

كانت تكفى هذه الآيات الكريمة على فرضية القراءة بالأمر الصريح " اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم " واقرأ وربك الأكرم " فالقراءة أول ، رابط بالله سبحانه وتعالى أى ابدأ باسم الله وتأمل وفكر فيما خلق ، واقرأ متأملا نعمة الله عليك ظاهرة وباطنة " وربك الأكرم " ثم جعل وسيلة العلم ودوامه القلم " الذى علم بالقلم " إشارة الى حتمية الكتابة بجانب حتمية القراءة ، لصحة إسلام المؤمن ، ولنقرأ معا ماكتبه الحافظ بن كثير فى تفسيره العظيم لهذه الآية الكريمة :ـ

" وإن من كرمه تعالى أن علم الانسان مالم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة والعلم .
تارة يكون فى الأذهان وتارة يكون فى اللسان ، وتارة يكون فى الكتابة بالبنان ، ذهنى ولفظى ورسمى ، والرسمى يستلزمها من غير عكس ، فلهذا قال : ـ اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم " وفى الأثر " قيدوا العلم بالكتابة " وفيه أيضا :" من عمل بما علم رزقه (الله) علم مالم يكن " أ هـ (١)
ومما يدل على أن القراءة هى الوسيلة إلى المعرفة والمعرفة هى الوسيلة إلى الإيمان ، ما كتبه الدكتور زكى نجيب محمود :" وكان أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى " اقرأ " ولعل فى ذلك ما يتضمن وجوب أن تكون المعرفه الصحيحة أساسا للإيمان الصحيح ويبقى أن نسأل معرفة لماذا ؟ فنجيب على هدى القرآن الكريم ، معرفة خلق السموات والأرض وما بينهما " (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير .
(٢) صحيفة الأهرام فى ١٩٨٤/١٢/٢٤م

وقال النسفى فى تفسيره : ـ
" الذى علم (الكتابة) بالقلم " علم الانسان مالم يعلم " فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة ، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط وكفى (١)

وتدوركل كتب التفاسير حول هذا المضمون وأن القراءة والكتابة صراحة وضمنا فرض على كل مسلم ومسلمة .

٢ ـ قال تعالى فى سورة القلم : " ن ، وما يسطرون "

وقال تعالى فى سورة الطور :" والطور وكتاب مسطور ، فى رق منشور " فقد أوجز الدكتور مصطفى السباعى فى كتاب " اشتراكية الإسلام ، أقوال المفسرين حول هذة الأية الكريمة ، فقال : " ومن المعلوم أن أداة ، العلم ، قلم يكتب ، ومداد يوضح ومادة يكتب عليها ؛ وقد اقسم الله بهذه الأدوات الثلاث فيما ذكرنا من الآيات ، أقسم بالنون وهى الدواة على ما ذهب اليه جمهور المفسرين ، واقسم بالقلم ، وأقسم بالرق المنشور ومن أمعن النظر فى كتاب الله الكريم وجد أن الله تعالى إنما يقسم بالكثير من مخلوقاته تنويها بشأنها ولفتا لأنظار الناس إليها " أ هـ

وفى كتاب إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى :
وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم وتنوه بقيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية الغافلة وتجعل اللبنة الأولى فى بناء كل رجل عظيم أن يقرأ وأن يتعلم ، قال صلى الله عليه وسلم :ـ
"فضل العلم خير من فضل العبادة" .
" قليل العلم خير من كثير العبادة " " أفضل العبادات الفقه "

---

(١) تفسير النسفى .

" فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " . أ هـ (١)

وكلنا يعلم أن جبريل عليه السلام حينما نزل بالوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

اقرأ .. فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارىء كما جاء فى سيرة ابن هشام :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فجاءنى جبريل وأنا نائم ، بنمط من ديباج(٢) فيه كتاب : فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ ؟ فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ قال فقلت : ماذا اقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه يعود لى بمثل ما صنع بى ــ فقال : " **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم .. علم الانسان مالم يعلم** "

(سورة العلق من ١:٥)

(١) إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى .
(٢) قطعة من حرير مكتوب عليها الآية الكريمة .

قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا ، قال : فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : محمد " أنت رسول الله وأنا جبريل .... " (١)
ومن هذا نستنبط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفى عن نفسه علمه بالقراءة حينما عرض عليه الديباج المكتوب عليه الآيات الكريمة
(اقرأباسم ربك الذى خلق ....) فهذا أول ما فهمه الرسول من دعوة جبريل عليه السلام وهذا أيضا فهمنا .
ولكن القراءة عند رسول الله تختلف عن القراءة عندنا (٢)

٣ـ قال تعالى فى سورة الجمعة :

" هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين"

إليك ما كتبه فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى فى كتاب الأزهر فى خدمة الإسلام فى تفسير " ويعلمهم الكتاب " : ـ
ولابأس أن يكون المراد من (الكتاب) الكتابة ، من حيث كانت الكتابة طريقا إلى حفظ المعارف من الضياع وإلى قيد العلم من التفلت . .
وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة القرآن .

فالكتابة من هذا الجانب شىء عظيم ينبغى الاهتمام به والعناية بأمره والتوفر على تحصيله للأمة العربية التى هى بسبيل تبليغ الدعوة الإسلامية الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة إلى عبادة الله فى كل زمان ومكان .

---

(١) السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام(ص١٤٧) دار التراث العربى .
(٢) ارجع الى فصل الأمية والأمى .

والناظر إلى فداء الأسرى فى بدر يرى مقدار عناية الإسلام والرسول عليه السلام بالكتابة ، فقد جعل عليه السلام فداء الأسير موقوفا على واحد من ثلاثة أشياء : مال يقدمه إلى جماعة المسلمين فى المدينة ، أو عفو يتفضل به رسول الإسلام ناظرا إلى مصلحة الأمة أو تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، يقوم عليه الأسير لينال بعد ذلك تمام ، حريته .

وإذن فمن الميسور أن يكون معنى (الكتاب) فى هذه الآية القرآن الكريم وأن يكون معناها (الكتابة عن طريق عموم المجاز .

فأما الحكمة فهى : عرف العرب معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ولا بد هنا من الملاحظة نظم الكتابة مع الحكمة فى فعل التعليم وكأنه يشير إلى أن الكتاب والحكمة إلفان لا يفترقان " أ هـ .

كما أن الكلمة المكتوبة لها الأثر البالغ فى تاريخ الحضارات البشرية ، بل هى سبب استمرارية هذه الحضارات وتنميتها على مدى الزمن .

وتطورت الكلمة المكتوبه (المخطوطة) إلى المطبوعة ، فصارت أعظم أثرا وأسرع فى نمو الحضارات ورقيها ، والوصول بالعلم الى آفاق متعددة فى خطوات سريعة .

من كلمة للدكتور أحمد أبو زيد وازنا بين الكلمة المنطوقة والكلمة المطبوعة قال :" فالكلمة المنطوقة لها ذاتية ولها شخصية متميزة لأنها تعبر عن ثقافة محلية محددة بكل مقوماتها الواضحة.كما تعبر عن انفعال المتكلم بتلك الثقافة المحلية ،وذلك بعكس الكلمة المطبوعة التى تكتسب طابعا عالميا عاما .. .. ومن هنا كانت هى مفتاح الحضارة الإنسانية والمدخل إلى هذه الحضارات لأنها هى التى تنقل إلى الإنسان القارىء خلاصة الفكر الانسانى الذى لاتحده أية حدود مكانية أو زمانية ضيقة وتفتح بالتالى أمامه آفاق الحضارة الإنسانية العميقة المتنوعة على مصاريعها .(١)

---

(١) مجلة الهلال (ديسمبر ١٩٨٨) مقال قوة الكلمة المكتوبة صـ ١٤

٤ ـ جاء فى صحيح البخارى ـ كتاب العلم : ـــ

قال صلى الله عليه سلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه ،وإنما العلم بالتعلم ". ولايمكن أن يكون التعلم بلا قراءة ولا كتابة ، قال صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " وكيف يطلب إلا بالقراءة ـ وبالكتابة والاستماع والسؤال .

فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى : قال صلى الله عليه وسلم :" العلم خزائن ومفتاحه السؤال ، فاسألوا رحمكم الله ، فإنما يؤجر فى العلم ثلاثة القائل والمستمع والآخذ ".

٥ ـ كتب الدكتور احمد فؤاد الأهوانى فى كتاب التربية فى الإسلام : ـ

" وكان الغرض من التعليم واضحا فى ذهن القابسى ، وفى ذهن من تقدموه من قبل ، منذ عصر النبى كانوا يقصدون إلى تعليم المسلمين الدين مما لايتيسر إلا بمعرفة بعض المبادىء التى تكتسب بالتعليم .

ومن هذه المبادىء القراءة والكتابة على أنها غاية فى ذاتها يكمل بها نفسه

بل على أنها سهولة تحصيل عنصرها من عناصر الدين وهو القرآن الكريم ، ولذلك افتدى النبى عشرة من أسرى بدر بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة . ومن هنا اتصل التعليم بالدين اتصال الوسيلة بالغرض، وإلزام التعليم خطاب للمجتمع بأسره لا لبعض الأفراد فيه فالقابسى يريد أن يعلم أبناء الشعب جميعا ، ولأنه يريد أن ينشر الدين ولايحرم أحدا .

والمسألة هى إلزام التعليم لا على سبيل الزينة بل على سبيل الوجوب الدينى "أهـ.
إذن .. القراءة والكتابة واجب دينى قبل ان تكون واجبا اجتماعيا
٦ ـ أما من حيث إن القراءة والكتابة هل هى فرض العين . أم فرض الكفاية ؟

ننقل إليكم ماكتبه فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية عن حقيقة فرض العين وفرض الكفاية ـ فى تصرف قليل : ـ

" الفروض ـ كما يقول الفقهاء ـ قسمان :فرض عين وفرض كفاية يعنون بفرض العين مايجب على الشخص نفسه ويسأل عنه وحده ، أما فرض الكفاية فهو واجب على المجتمع جوب شيوع بحيث إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

وقصة فروض العين وفروض الكفاية لاتحكى بهذا الأسلوب العليل وسوء عرضها فى مجال التربية والإعداد جعل المسلمين يتصرفون بطيش فى أمور تمس حياتهم وبقاءهم قد تعلى رايتهم أو تنكسها .

إن المجتمع الإنسانى كيان متشابك المصالح ، والناس مايستغنى بعضهم عن البعض الآخر ، والأجهزة الإدارية والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية فى بنيان الأمة تشبه الأجهزة العصبية والهضمية والتفسية والدورية فى الجسد البشرى ، ومن هنا فإن فروض العين والكفاية تتداخل فى الحياة العامة تداخلا تاما ويتوزع هذا الاهتمام الدينى عليها كلها ، فلا يدع شيئا منها .

إن فروض الكفاية تأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ، وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع فى إتمامه .

ولنزد الأمر وضوحا : الصلاة فرض عين لأن كل إنسان يستطيع الصلاة فما يستثنى أحد من وجوبها أما القضاء والتدريس والهندسة فهى فروض كفاية ، لأنه ليس كل إنسان يقدر أن يكون قاضيا ، أو مدرسا أو مهندسا فإذا ترشح امرؤ بمؤهلاته العلمية للقضاء ، وعينته الدولة فى المنصب المعد له ، فإن قيامه بأعباء منصبه هذا أصبح فرض عين كالصلاة والصيام ومايجوز له أن يتراخى فيه أو يفرط ، وكل ذرة من استهانة او خيانة فهى عصيان لله ، واعتداء على الدين ، ولا يقبل أبدا الاعتذار بأن ذلك وقع فى فرض كفاية .

وما يقال فى القضاء ، يقال فى التدريس والتطبيب ، وفى كل مهنة تحتاج الأمة إليها ويرتبط قيامها بها .

والمطلوب من كل مكلف أن يؤدى العمل على خير وجه وأن يوفى بالعقد الذى التزم به مع الدولة وهى لن تضن عليه بما يطمئنه .
وأعتقد أن ذلك بعض ما يعنيه قوله تعالى : " والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون " (٨ ـ المؤمنون) فإن المناصب كلها أمانات مسؤولة والقيام عليها عقد مرعى الزمام " أ هـ
من خلال رأى فضيلة الشيخ محمد الغزالى ـ السابق أن فروض الكفاية تتحول لى فروض العين أمام متطلبات الدين وحاجة المجتمع ولهؤلاء الذين يدعون أن القراءة والكتابة فرض كفاية أى لاتلزم الناس جميعا ، اعتمادا على ماساقه الأمام أبو حامد فى كتابه (إحياء علوم الدين) حيث كتب :

" اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم ، ودليل فإذا فعل فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين (١) وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص " أ هـ
مع العلم أن فضيلة الإمام أبى حامد فى نفس الكتاب فى معرض الحديث عن فرض العين وفرض الكفاية قال :

---

١ ـ الشهادتين

" وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لاتظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة من الآلات ، علم كتابة الخط .. .. ولو تصور استقلال الحفظ مايسمع لااستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا " أ هـ

وخلاصـــة القـول :

مما سبق نتبين أن القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة صغيرا أدرك أم كبيرا شيخا أم شابا حتى ولوكان بينه وبين الموت ذراع قال صلى الله عليه وسلم :

" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد "

ولو افترضنا جدلا أن القراءة والكتابة فرض كفاية فهناك قاعدة أصولية : -

" ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "

ومن الجانب الاجتماعى حينما عرف الإنسان ، قيل :

" الإنسان الحيوان الوحيد الكاتب القارىء "

فالكتابة والقراءة من طبيعة البشر ، وطبيعة خلقهم ، وإظهارا لنعمة العقل التى من الله بها على الإنسان ، كما أن النمو الحضارى الصارخ المنتشر فى المجتمعات البشرية نتيجة للتقدم العلمى الصارخ فى كل ميادين الحياة ، يقتضى على المسلمين أن يقرأوا ويكتبوا اليتعلموا العلم فى كل ميادينه وعلى اختلاف ألوانه حتى يواكبوا هذه الحضارات العلمية والتقدميه حولهم . وإلا جمدوا وتخلفوا وصاروا كأمة الأغنام وهذا مالا يقبله الدين الإسلامى مطلقا ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أقبل عليها وتعلمها .

فهل بعد ذلك مازلنا نناقش قضية القراءة والكتابة فرض عين أو فرض كفاية ؟ بينما العالم يخطو خطوات واسعة نحو غزو الفضاء ونحو مجتمع الرخاء والرفاهية ، بحجة أن السابقين من المفسرين لم يقولوا بذلك (١)

إذن القراءة والكتابة واجب دينى إسلامى مدعما لها كواجب حضارى .

---

(١) هذه القضية نتناولها فى فصل مستقل فى آخر الكتاب

ثمار إجادة القراءة والكتابة

" رحـم الله امـرأ أصلـح من لسـانه "

" حديـث شريف "

إجــادة القــراءة والكتــابة

ليس المطلوب مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة والتعرف على الحروف والكلمات نطقا وكتابة لأداء بعض المهام اليومية التافهه فى الحياة فهذا يؤدى إلى ضياعها تماما ، ويعود بالإنسان إلى أميته بل إلى شر من ذلك بل المطلوب إجادة القراءة والكتابة إجادة تامة واعية لتتحقق الرسالة السامية من حياتنا ، فالقراءة والكتابة الواعية تؤديان بنا إلى : ـ

١ ـ الإيمان الكامل :

فكمال الإيمان وتمامه موقوف على مدىإجادة القراءة والكتابة ولنعد إلى الاستشهاد بما كتبه الدكتور مصطفى عبد الواحد فى كتاب شخصية المسلم :

" إن المعركة مع الكفر هى معركة مع الجهل والخرافة ، وذلك مايجعل المسلم حريصا على العلم معولا عليه فى بلوغ الحقيقة واستقامة الطريق والمسلم يرى فى آيات الكتاب أنها أنزلت للعاملين يخرجون من أسوار الجهالة ويفتحون عقولهم لضياء المعرفة قال تعالى : " ومايعقلها إلا العالمون " (العنكبوت) وقال تعالى : " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه " (يونس) " أ هـ

بل نجد الدكتور يوسف القرضاوى فى كتاب التربية الإسلامية يجعل العلم سابقا على الإيمان حتى يكون إيمان اليقين ، كتب : ـ " والقرآن يجعل العلم سابقا على الإيمان والإخبات وهما نتائج له أو متفرعة عنه ، قال تعالى : " ويعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم " (٥٤ الحج) أ هـ .

٢ ـ الوصول إلى الله عز وجل :

أ ـ عن طريق التعبد لله بتلاوة القرآن الكريم عن وعى وفهم

قال تعالى :

" ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى " (١٢٤ : ١٢٦ طه)

" وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا " (٦١ يونس) .

" إن قرآن الفجر كان مشهودا " (٧٨ ـ الاسراء)

" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " (٨٢ ـ الاسراء)

" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " (٢٤ ـ محمد)

ب ـ التأمل والتفكير فى خلق الله مع الدراسة العلمية الدقيقة : ـ

قال تعالى : ـ

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب " (١٩٠ ـ آل عمران)

" ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك " (١٩١ ـ آل عمران)

" خلق لكم الأرض جميعا " (٢٩ ـ البقرة)

" والله خلق كل دابة من ماء " (٤٥ ـ النور)

٣ـ الوصول الى الإسلام الصحيح :

بالقراءة الجيدة والفهم الواعى والكتابة الدقيقة المعبرة ، تتعرف على إسلامك وعظمة جوهره وسمو هدفه ، ورسالته المقدسة فى الحياة الدنيا من عبادات ومعاملات وشرائع وقوانين وأخلاق وسلوك ، وبدون إجادة القراءة والكتابة يكون الإنسان كما قال تعالى :

" قالت الأعراب آمنا لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان قلوبكم " (١٤ ـ الحجرات)

أى يصير شكليا بعيدا عن جوهره ولبه . ويكون الإنسان خطرا على إسلامه ومجتمعه من الأمى الجاهل ، وينطبق عليه قول الله تعالى : ـ

" مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (الجمعة)

٤ ـ الكرامة الانسانية :

صفة أفضنا فيها من قبل ، ومع ذلك فلا يمكن للآدمى أن يكون إنسانا متساميا عن حياته الحيوانية الغرائزية ، إلا إذا تمتع بالكرامة أمام مجتمعه ، وأن تكون له شخصية المسلم العزيزة والتى تعلو عن التوافه ولاشىء يذل الإنسان أمام الناس إلا أن يظهر جاهلا بالبدهيات والعموميات فيثير السخرية والتهكم ويضع من قدره ويأنف المجتمع الإسلامى منه ، وقد يدفعه هذا الموقف الى تقليد أعمى يؤدى به الى الزراية أو الهلاك .

قال صلى الله عليه وسلم : " من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا " أخرجه الطبرانى.

٥ ـ البعد عن التقليد الأعمى :

نكتفى هنا بما أورده الدكتور إبراهيم اللبان فى كتاب القرآن وتجديد المجتمع :

" فى تفسير الآية ١٧١ من سورة البقرة وهى :

" ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فيهم لا يعقلون "

إن الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، وأن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن ربى على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان بل القصد منه أن يرتقى عقله ونفسه بالعلم والعرفان فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ويكون هذا على بصيرة وعقل فى اعتقاده فلا يأخذ بالتسليم لأجل آبائه أجداده " أ هـ .

قال الإمام الشيخ محمد عبده" إن العقل أحد مصادر العلم والمعرفة فى الإسلام " والعقل هو القوة التفكرية .. وكيف لقوة تفكرية أن تتكون وتتفاعل مالم يكن هناك تأمل ونظر وقراءة جيدة واعية ، وقيل : " إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

٦ ـ استحقاق الخلافة وميراث الأرض :

الإنسان الذى يتصف بالإيمان الكامل الواعى وبالاتصال الروحى بالله والرسول وبالإسلام الصحيح وتتوفر فيه الكرامة والعزة ويتميز بالعقل والعلم والعمل لجدير بأن يكون خليفة الله فى الأرض ، وماخلق الإنسان الإ ليكون هذا مهما كان ميدان عمله . كتب الدكتور مصطفى السباعى فى كتاب إشتراكية الإسلام : ـ

" قال تعالى فى سورة البقرة :

" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم اقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون "

الميزة الأولى التى ينفرد بها الإنسان هى استعداده للعلم ومن أجلها استحق الخلافة فى الأرض والسيطرة عليها واستحق أن يخضع له أكرم مخلوقات الله وهم الملائكة فأمرهم بالسجود لآدم بعد أن أظهر لهم ميزته عليهم بالعلم " أ هـ

فلا خلافة لإنسان فى أى عمل بلا علم حتى ولو كان من أشراف القوم حسبا ونسبا وغنى ، ويكفى ماقاله الله تعالى :

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط "

(١٨ ـ آل عمران)

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "

(١١ ـ المجادلة)

" قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (٩ ـ الزمر)
" إنما يخشى الله من عباده العلما ء " (٢٨ ـ فاطر)

ويتأمل الآيات الكريمة نصل إلى مايهدف إليه الإسلام .. ..
وجاء فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى : ـ
قال صلى الله عليه وسلم : ـ
" الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم "
" أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد "
" يوزن يوم القامهة مداد العلماء بدم الشهداء " أ هـ .

وفى أيامنا هذه هؤلاء الذين سيطروا على الأرض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وامتد سلطانهم إلى الكواكب السيارة وجوف السماء ماوصلوا إلى ماوصلوا إليه إلا بالعلم والعمل معا . فلا علم بلا عمل ولا عمل بلا علم ، وكنا نحن أولى بميراث الأرض وجوف السماء ، ولكن قصرنا عن عمد فتخلفنا وقربنا من القاع . فالإسلام أول من فرض العلم وفرض العمل بل ربط بينهما برباط وثيق وجعل أحدهما تطبيقا للآخر لعمارة الكون واستمرار اتلحياة وارتقاء البشرية وتقدم الحضارة .

وتخلفنا يوم أن ابتعدنا عنهما وصرنا تواكليين لانعمل إلا من أجل اشباع حاجتنا الغرائزية فحرمنا ميراث الأرض ورتع الفقر والمرض بيننا بسبب جهلنا المطبق أو قشور ما تعلمنا .

قال تعالى :
" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " ١٠٥ ـ الانبياء .
" أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم " ١٠٠ ـ الاعراف .
" أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده " ١٢٨ ـ الأعراف .
" ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين " ٥ ـ القصص .

" والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون " ٨ : ١٠ المؤمنون

٧ ـ المعرفة :

بالقراءة والكتابة الجيدتين الواعيتين وبالتأمل والتفكير فى آيات الله البينات تصل إلى غزارة المعارف وترتبط بحياتك وببيئتك وبكونك :
وتستطيع أن تحمل عبء الرسالة السامية المكلف بها من قبل الله سبحانه كإنسان لك آدميتك فالإنسان مهما كانت مهنته أو صناعته يجب ان يكون موسوعيا أى يكون ملما بالمعارف العامة بجانب تخصصه فى مهنته أو صناعته . وهذا واجب على المسلم كما جاء فى القرآن الكريم مشيرا إلى أدق وأخطر القضايا العلمية والتى تحمل أمرا ضمنيا للإلمام بهذه المعارف إن لم تكن متخصصا فيها .

والآيات الكريمة تملأ كتاب الله ويضيق المجال عن ذكرها وتدور حول : —

١ـ معرفة نشأة الكون والحياة .
٢ ـ معرفة النفس البشرية .
٣ ـ اكتشاف الكون سماء ومافيها وأرضا وما عليها .
٤ ـ الاتصال بالبيئة والتفاعل معها .
٥ ـ الحياة البشرية بكل ظروفها الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .
٦ ـ الهداية إلى سبل المعيشة الطيبة .
٧ ـ الرسالة المكلف بها الآدمى مدى حياته .
٨ ـ مواصفات صلاحية الإنسان لعمارة الكون .

قال تعالى :

" واتقوا الله ويعلمكم الله " ٢٨٢ البقرة .

٨ ـ وسيلة رزق :

كما أن إجادة القراءة والكتابة وسيلة إلى تحقيق ما يصبو إليه الإنسان وفقا لنوعية التعليم ودرجته ـ فإنه وسيلة جيدة إلى إجادة الحرفة أو الصناعة والتعرف على وسائل إتقانها ورقيها فتروج المنتجات وتعود بالخير على صاحبها وعلى المجتمع .

إذن القراءة والكتابة وسيلة رزق طيبة لكل صاحب مهنة أو حرفة ، أو صناعة ، وجاء في أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي :
" قال مصعب بن الزبير لابنه : " تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جمالا ، وان لم يكن لك مال كان لك مالا "
" وقال علي رضي الله عنه : ـ " قيمة كل امرئ مايحسن " أ هـ

❑❑❑❑❑❑❑

دلائل ضرورة اجادة القراءة والكتابة :

أولا : ـ القراءة .. قال تعالى :

" وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث " ١٠٦ـ الاسراء
" سنقرئك فلا تنسى " ٦ ـ الأعلى
" الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته " ١٢١ ـ البقرة
" ورتل القرآن ترتيلا " ـ الزمل
" وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه " ـ النمل
" إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا " ـ الانفال

قال صلى الله عليه وسلم :
" ليس منا من لم يتغن بالقرآن " البخاري ومسلم

فالتلاوة ـ كما عرضنا من قبل .. بجانب إجادة القراءة أداء ونطقا هى العمل بالحقائق والأفكار التى دعت إليها الآيات الكريمة . وكلاهما فرض على كل مسلم ومسلمة مهما كانت الظروف المحيطة بكل من المهد إلى اللحد .

ثانيا الكتابة :

قال تعالى :

" الذى علم بالقلم ٤ ـ العلق

" ن ـ والقلم وما يسطرون ١ ـ القلم

" والطور وكتاب مسطور فى ورق منشور " ١ : ٣ ـ الطور .

فإجادة الكتابة لها أهميتها فى حياة الكون كما أن لها أهميتها فى حياة الإنسان بدليل أن الله ـ سبحانه ـ أقسم بها وجعلها دليلا على غزارة علمه وأنه لا ينتهى أبدا ، فهى ليست مجرد رسم للحروف وللكلمات ولكنها ثوب قشيب معبر عن المعانى والأفكار بشرط أن يتناولها الجميع فى يسر واستمتاع وليس يعنى ذلك إهمال قواعد الخط والكتابة بل تجب المحافظة على أصول وقواعد الخط العربى فقد جاء فى كتاب ـ أدب الدنيا والدين لأبى الحسن الماوردى :

" على من أراد حفظ العلم أن يعبأ بأمرين : أحدهما تقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها ، والثانى ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميزة لها ، ثم مازاد على هذين من تحسين الخط وملاحقة نظمه ، فإنما هو زيادة حذق بصنعته وليس بشرط فى صحته "

قال على بن عبيدة : حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير

قال أبو العباس المبرد : رداءة الخط زمانة (آفته وعاهته) الأدب

قال عبد الحميد الكاتب : البيان فى اللسان والبنان "

قال عمر بن الخطاب : " شر الكتابة المشق (مد الحروف أثناء الكتابة) كما أن شر القراءة الهذرمة السرعة فى القراءة) "

أ هـ

وقال صلى الله عليه وسلم : " رحم الله امرأ أصلح ن لسانه .

تعليم الأولاد ومسؤلية الأباء

" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد "

حديث شريف

تعليم الأولاد ومسؤولية الآباء

تعليم الأولاد القراءة والكتابة مسؤولية خطيرة ، حيث هم اللبنة الأولي في بناء المجتمع الإسلامي العريض ، وبتعليمهم إجادة القراءة والكتابة تأخذ بيدهم على طريق الفلاح فى سبيل إنسان مسلم مبدع ... ومجتمع إسلامي متحضر راق يعمل بما دعا إليه الإسلام .

فالإسلام يهدف إلي سعادة الفرد وسعادة الجماعة في الدنيا والآخرة ،كما أنه يهدف إلي حضاره راقيه تقوم علي أسس علمية قويمة وأولي خطوات العلم إجادة القراءة والكتابة .

ولنقرأ ما كتبه الإمام الغزالي :"طبيعة الإسلام تفرض علي الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين أو تهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين .

إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ،ولن يجد هذا الدين مستقرا له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصينه .

قال تعالي :"لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير "

(١٠- الملك)

إن التعليم والتعلم روح الإسلام ،لا بقاء لجوهره ولا كفالة لستقبله إلابهما ،والناس في نظر الإسلام أحد رجلين :إما متعلم يطلب الرشد وإما عالم يطلب المزيد ،وليس بعد ذلك من يؤبه له.

قال صلي الله عليه وسلم :

"العالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس.أ هـ (١)

وقال صلي الله عليه وسلم:

"تعلموا العلم وعلموا فان أجر العالم والمتعلم سواء"

قال تعالي :

"من عمل صالحا من ذكر أو انثي فلنحيينه حياة ،طيبة"

(٩٧ ـ النحل)

---

(١) إحياء علوم الدين ، سائر = بقيه

وبناء علي ذلك كانت فرضيه تعليم الأولاد القراءة والكتابة علي الأباء، وهم المسؤولون أمام الله سبحانه وتعالي ـ والرسول صلي الله عليه وسلم عن ذلك .
وقال القابسي .كما جاء في كتاب التربية في الإسلام للدكتور الإهواني :"فإذا اشتدت مفاصل الصبي ،واستوي لسانه وتهيأ للتلقين ووعي سمعه ،أخذ في تعلم القرأن وصور له الهجاء ولقن معالم الدين" أ هـ
وقال تعالي :

"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ،وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" ٧٨ ـ النحل

قال تعالي " فالسمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا " ٣٦ ـ الاسراء

" قوا أنفسكم واهليكم نارا " ٦ ـ التحريم

" واصلح لي في ذريتي " ١٥ـ الأحقاف

قال صلي الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ": (البخاري)
وهنا تتجلي مسؤوليه الأباء عن تعليم أولادهم ،مسؤولية ملزمة لا هرب منها مطلقا بأية حجة كانت ولنقرأ ماجاء فى كتاب الحياة المثلى وكيف نحققها للكاتب محمود أحمد حماد حول موقف الإنسان أمام المسؤولية :

" هو الفرق بين نظرتين ،نظرة تلزم الفرد بعمل الوا جب لتغريه بالجزاء ،ونظرة تلزمه بعمل الواجب لأنه مسؤول ،وهو مسؤول لأنه جدير بشرف المسؤولية لا تسقط إلا عن قاصرأو سفيه أو مجنون " أهـ

وجاء فى كتاب التربية عند العرب للكاتب محمد فوزى العنتيل :
وكان ابن سينا من أنصار الغرض الكسبى فى التربية أى إذا فرغ الصبى من تعليم القرآن وحفظ أصول اللغة ، انظر بعد ذلك إلى مايراد أن تكون صناعته ،فوجهه لطريقه بعد أن يعلم مدبر الصبى أن ليس كل صناعة يروحها الصبى ممكنة له مواتية ، لكن ماشاكل (وافق) طبعه وناسبه " أهـ

فكيف يتنصل الأب من هذه المسؤولية الخطيرة ؟!

فالأب مهما كانت ظروفه المعيشية صعبة أو ميسرة ، مسئوول تماما عن تعليم أولاده (بنين وبنات) . ولا يعتذر بفقره أو ضيق عيشتة أو كثرة مشاغله ومطالب المعيشة ، فتربية وتعليم الأولاد قمة رسالته فى الحياة كماأمر ودعا إليها الإسلام ، ويكفى ولى الأمر - مهما كان نوعه — أن يراقب ويتابع ولده فى تردده على المدرسة بانتظام ، وأن يكون على صلة بمعلميه مستفسرا عن حال ولده وطالبا النصح والإرشاد ، حتى يشترك فى تقويم الولد إن احتاج إلى التقويم .

أما هؤلاء الآباء الذين يرتكبون أبشع جريمة فى حق الإسلام وفى حق أنفسهم وفى حق أولادهم بأن يرسلوا أولادهم صغارا لتعليم حرفة أو صنعة ، قبل إجادة القراءة والكتابة ، جريا وراء الكسب المادى السريع دون النظر إلى أى اعتبارات دينية و اجتماعية أو قومية أو إنسانية أو ، مستقبلية آباء نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، آباء يجب أن يحاسبوا حسابا عسيرا أمام القانون وأن يعاقبوا أشد العقاب لأنهم كانوا سببا فى قتل إنسان قتلا معنويا ووجهوه إلى طريق الظلام حيث الفساد والظلام وحرموه من متعة الحياة وهو فى مهده .

وعلى صاحب الحرفة أو الصناعة ألا يقبل صبيا يدربه أو يشاركه فى عمله دون أن يتأكد أنه أجاد القراءة والكتابة ، حتى لايكون شريكا فى هذه الجريمة النكراء ، وحتى لايكون فى قبوله للصبى الأمى مشجعا للآباء وللأولاد على هذا الاتجاه .
من عادة أهل الريف المصرى إذا مادرج الطفل على قدميه وبدأت ذاكرته تعى وتتذكر أن يرسلوه إلى (الشيخ) حتى ولو كان فى السنة الرابعة من عمره وليبدأ فى حفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب فى(مكتب) القرية .. وبعد أن يشتد عوده ويقوى جسمه ، ويطمئن والده على إجادة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم أو إجادة أجزاء منه ، يوجه الصبى إلى مايتفق مع هواه ورغبة الوالدين حيث العمل فى الحقل أو فى حرفة أو فى صناعة أو مواصلة التعليم بالمدارس إن كانت ظروفه تسمح بذلك ، وهذا ماسرى

علـى الأجيـال السـابقة ومنهـم الآن رجـل الأعمـال ، ومـالك الأرض ، والتـاجر والطبيب والمهندس والمدرس والمستشار والقاضى والوزير إلى آخـره مـن أبنـاء الريف الخلص والذين قدموا لوطنهم ولمجتمعهم الكثير عن رضا وسعادة ولذة .

كما أن تعليم الأولاد ثروة قومية للبـلاد ، ولا نهضـة لبلـد دون أبنائهـا فـإذا كـانوا على حظ وافر من التعليم ارتقى الوطن اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وأصبحت لـه هيبتـه بيـن المجتمعـات الدوليـة ، وكـم مـن دول تعـانى مـرارة التخلـف والفقـر والمرض بسبب هذه الأمية البشعة المنتشرة بين أبنائها .

وقد جاء فى كتاب دور التربية فى التنمية الاجتماعية والاقتصاديـة للـدول الناميـة للدكتور محمد لبيب النجيحى : ـ

" إن تربيـة الحضـر والمسـتقبل يجـب أن تكـون تربيـة تعـد النـاس للتغـيرات الاجتماعية المنظورة وغير المنظورة وتعدهم لا على أساس المهارات ولكـن على أساس الشخصية والنظرية الشاملة القادرة على التكيف تكيفا سليما مع المواقف الجديدة .

وإذا كانت تربية الأولاد والشباب فى عملية الإعداد المصرى عملية هامة وصعبـة فإن تربية النساء أكثر صعوبة .. وبالنسـبة للجميـع يجـب أن تهـدف التربيـة إلـى إكسابهم المعرفة والمهارات أنواع الفهم التـى تمكنهـم مـن أن يصبحـوا صـانعين ماهرين للأسرة فى بيئة جديدة سريعة التغير.

وأن يستطيعوا تكوين أسرة لأطفالهم فى بيئة صحية من الناحية الجسـمية والعقليـة والعاطفيـة وأن يكونـوا قـادة أسرهم وتقـدر المدرسـة والمجتمـع وتسـتخدم المـنزل لمساعدة المدرسين فى عملية التربية الشاقة.لا يوجد مجتمـع أقـوى مـن مجمـوع أفراده المكونين ولهذا السبب فإن الهدف القومى من التربية يجب أن يكون دائمـا خلق نوع من الرجال والنساء يفخر بهم " أ هـ

ولذلك الذين يهملون تعليم أولادهم (بنين أو بنات) – أو يشغلونهم بما يبعدهم عن التعليم فى صغرهم بجانب أنهم يعصون الله فى فريضة فرضها ، وأنهم معاول هدم فى مجتمعهم فهم يستحقون لعنة اللاعنين فى الدنيا والآخرة ، وينطبق عليهم عقاب من يكتمون العلم عن الناس بأول وسائله وهى إجادة القراءة والكتابة ، قال تعالى : -

" إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون "
١٥٩ ـ البقرة

وقال صلى الله عليه وسلم : - .
" من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة "
(أبو داود)

وقال القابسى :
" وكما يجب على المتعلم التعلم فكذلك يجب على العالم التعليم "
وقال صلى الله عليه وسلم :
" خيركم من تعلم القرآن وعلمه " البخارى

وظاهرة أخرى خطيرة تستحق الدراسة من كل الجوانب والعمل على علاجها النافذ السريع قبل أن يستشرى الداء ويصعب العلاج وهى ظاهرة التسريب ، حيث نجد فى بعض المدارس الابتدائية من بعض المسؤولين الذين يسمحون بتسريب الأولاد من مدارسهم بحجة الحفاظ على نتائج المدرسة ولأن فى هؤلاء الأولاد – رغم تقدمهم فى السنوات الدراسية ضعف علمى أو أنهم مازالوا على أميتهم وينسون أن الطفل يأتيهم بعقلية خام وهم الذين يشكلونه ويوجهونه فالتقصير منهم وليس من الطفل وبهذا تزداد الأمية عاما بعد عام وللأسف الشديد المرير بين تلاميذ المدارس الصغار .

وينسى المعلم أو يتناس الله ـ سبحانه ـ ودينه وضميره ومجتمعه وما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة تفسد الوطن والاقتصاد القومى وبدلا من أن يجعل جزاءه على الله فى الأخذ بيد الطفل من ظلمات الجهل إلى هداية النور ، وأن الله سوف

يعوضه عافية وصحة وأسرة سعيدة بسبب مابذل من جهد . يعمد إلى تسريب الطفل من المدرسة دون ذنب جناه .. ويرتاح المسؤول الراحة الشكلية بينما ضميره وراءه بسوط الأرق والقلق والعذاب ، فقد غش وزارته وأخرجها عن هدفها القومى وبدد الأموال بل غش الناس جميعا . جاء فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى :-

" أعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبيان أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهوة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له "
وقد قال الله عز وجل :
" يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا "
وصيانة الصبى بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم " ا ه

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : " قلب الحدث كالأرض ، الخالية ، ما ألقى فيها من شىء قبلته وإنما كان كذلك لأن الصغيرأفرغ قلبا وأقل شغلا وأيسر تبذلا وأكثر تواضعا " أ - هـ

أما الكبار الذين شغلتهم الدنيا وظلوا على أميتهم حتى بلغ بهم العمر ما بلغ ـ غفر الله لهم إن كانوا هم السبب أو كان غيرهم هو السبب فكونهم قد بلغوا سن التعقل وقد عرفوا منافع ومضار الشىء أصبحوا مسؤولين مسئوولية كاملة عن هذا النقص المشين وعليهم علاجه مهما كان الثمن ، حيث إنهم هدموا ركنا تتضح به أركان الدين القويم فواجبهم الإسراع إلى محو أميتهم بدافع من دينهم ووصولا إلى عزة إسلامية بين أفراد المجتمع الانسانى مهما بلغ الانسان من العمر :ـ

قال صلى الله عليه وسلم :ـ

" اطلبوا العلم من المهد الى اللحد " (البخارى)

" إن الملائكة لتضع أجنحتها على طالب العلم رضا بما يصنع "

(البخارى وأبو داود والترمزى)

" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة "

(أبو مسلم وأبو داود والترمزى)

وجاء فى كتاب أدب الدنيا والدين للماوردى :

قال المأمون لإبراهيم المهدى :" والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل "

قال إبراهيم : ومتى يحسن بى طلب العلم ؟

قال الخليفة : ما حسنت بك الحياة .

وقيل:

" جهل الصغير معذور وعلمه محقور (عند العوام) فأما الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح لأن علو السن إذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما ، وكانت أيامه فى الجهل ماضية خالية كان الصغير أفضل منه لأن الرجاء له أكثر والأمل فيه أظهر وحسبك نقصا أن يقال فى رجل يكون الصغير المساوى له فى الجهل أفضل منه " أ هـ

قال الشاعر :

وما تنفع الأيام حين تعدها ولم تستفد فيهن علما وفضلا

وقال حكيم :ـ

" من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى فى ذل الجهل أبدا "

قال إخوان الصفا فى طلب العلم :ـ

إن العلم يكسب صاحبه عشر خصال محمودة :ـ

أولها الشرف وإن كان دنيا والعز وإن كان مهينا

والغنى وإن كان فقيرا والقوة وإن كان ضعيفا

والنبل وإن كان حقيرا والقرب وإن كان بعيدا

والجود وإن كان بخيلا والحياء وإن كان صلفا

والمهابة وإن كان وضيعا والسلامة وإن كان سفيها

لذا ..

على الكبار أن يسارعوا بأداء واجبهم نحو الصغار مهما كانت الأسباب والظروف بتعليمهم إجادة القراءة والكتابة .

وعليهم أيضا ، إذا كان ظلام الأمية مازال مخيما عليهم أن يسارعوا الى هداية العلم والمعرفة بإجادة القراءة والكتابة وبذلك تتفتح أمام الجميع أفاق السعادة فى الدنيا والآخرة .

قال الدكتور زكى نجيب محمود :" من يشعر من عمق نفسه وقلبه وعقله بأنه مادام قد خلقه الله إنسانا فعلى عاتقه تقع مسؤولية الحياة المنتجة المبدعة "(١)

ومن كل ما سبق نخلص الى أن :

١ــ الانسان مسؤول مسؤولية كاملة طالما أنه تمتع بالعقل الناضج الواعى والوجدان السليم السامى .

٢ــ هذه المسؤولية لا بد أن تكون منتجة مبدعة .

وعلى هذا :ــ

اول انتاج وإبداع يقوم به الانسان هو أولاده ، فعليه أن يقوم بتربيتهم وتعليمهم مهما كانت الأسباب والظروف وأن يوجههم للحياة الطبيعية التوجيه السليم ليكونوا منتجين مبدعين ، فإذا قصر فقد خان الأمانة ، وأخل بالرعاية ، وعليه وزر محاسب عليه حسابا عسيرا أمام الله والناس ، وفقد إنسانيته التى تميز بها عن الحيوان .

(١) مقال تشابه الأجزاء ووحدة الصف ، صحيفة الأهرام ١٤/ ١٠/ ٨٦

" ومن ثم جعل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدفه الأول أن يصنع رجالا لا أن يلقى مواعظ ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطبا وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة ، أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد صلى الله عليه وسلم ـ أن يحول الفكرة المجردة الى رجال تلمسهم الأيدى ، وتراهم العيون" (١)

وأى رجال هؤلاء مالم يكونوا ملءالسمع والبصر ، قوة بدنية ، وعلما وأخلاقا حميدة وسلوكا بناء طيبا وهذا مافرضه الإسلام على أبنائة .

فتربية الولد وتعليمه فرض على الآباء بنص القرآن والسنة ـ حتى يكون منتجا مبدعا فى مجتمعه الإسلامى وأن يكون صاحب رسالة سامية خيرة ، يسعى لتحقيقها ، ليسعد فى الدنيا والآخرة .

---

(١) تربية الأولاد فى الاسلام ـ عبد الله ناصح علوان صـ ٨

كلمـــة عـن :

==========

اللغة العربيـة

" وهذا لسان عربى مبين "
قرآن كريم

اللغـــة العربيـــة

اللغـة العربيـة ، لغـة لهـا قداسـتها ، ولغـة لهـا حضارتهـا ، ولغـة لهـا فصاحتهـا وبلاغتها ، ولغة لها موسيقاها المميزة لغة تتميز بحسن الابانـة والدقـة ، وتتمـيز بمخاطبة العقول ، وبالإيحاء المثير للعواطف والخيال .

اللغـة العربيـة فريضـة علـى كـل مسـلم ومسـلمة فـى مشـارق الأرض . . . ومغاربها ، مهما كانت جنسيته ومهما كانت لغته الأصلية . فالعربيـة الفصحـى – لغة القرآن – لغة تقارب وترابط بين المسلمين فى أنحـاء الكـرة الأرضيـة ، تربـط ماضيهم بحاضرهم ومسـتقبلهم فـى لغـة خـالدة لهـا اتجاهاتهـا المتعـددة كوسـيلة وغاية فى جميع مناحى الحياة ، اجتماعيـة واقتصاديـة وسياسـية وأدبيـة وفنيـة ، وكل ما اتصل بـالعلوم الإنسـانية ، كمـا أنهـا مجـال للدراسـات الصوتيـة واللغويـة والنحوية والصرفية بجانب أنها لغة عبادة وتقرب الى الله سبحانه وتعالى .. .. فالعبادة من صلاة ودعاء وتلاوة للقرآن الكريم – مع فهم وتدبر ما يتلى كلها لاتتم إلا باللغة العربية ، ولم يجز أحد مـن الأئمـة مطلقـا أن تـؤدى الصـلاة بغـير اللغـة العربية ، والصلاة فرض عيـن علـى كـل مسـلم ومسـلمة وقلنـا مـن قبـل مـالا يتـم الواجب إلا به فهو واجب " ولو توسعنا قليلا لنعيش فى رحاب آيـات اللـه البينـات لنلمس مدى فرضية اللغة العربية علينا كمسلمين :–

قال تعالى :

" وهذا لسان عربى مبين " ١٠٣ – النحل

" نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين " ١٩٥ – الشعراء

"أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء " ٤٤ – فصلت

" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ٢ – يوسف

" وكذلك أنزلناه حكما عربيا " ٣٧ – الرعد

" وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد " ١١٣ – طه

" قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون "　　٢٨ ـ الزمر

" كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون "　　٣ ـ فصلت

"وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا "　　٧ ـ الشورى

"إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "　　٣ ـ الزخرف

" وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا "
١٢ ـ الاحقاف

فاذا تأملت هذه الآيات الكريمة محاولا أن تربط بين كلمة (عربى ـ عربيا) و الكلمات (مبين ، هدى وشفاء ، لعلكم تعقلون ـ لعلهم يتقون ، لقوم يعملون ، لينذر الذين ظلموا) لتأكد لك ما للعربية من كيان قوى عند المسلمين فى مجالات العبادة والهداية والشفاء ، والمعرفة والعلوم العقلية بكاملها إذن هى لغة خالدة ، لغة تحضر وعلم .

قال تعالى :" إنا نحن الذكر وانا له لحافظون "　　٩ ـ الحجر

فالذكر هو القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، نزل به جبريل عليه السلام من السماء ، بنفس اللسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى :" سنقرئك فلا تنسى "　　٦ ـ الأعلى

" لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعة وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ان علينا بيانه "　　١٦ القيامة

أى (بلسانك) كما جاء فى البخارى .

أليست اللغة العربية فرض على كل مسلم ومسلمة مهما كانت جنسيته ومهما كانت لغته الأصلية ، وعلى أية أرض عاش ؟ ما أجمل أو ما أعظم أن يتفاهم المسلمون والمسلمات بلغة القرآن مهما نأت بهم الديار .

قال صلى الله عليه وسلم :

" تعملوا العربية وعلمو ها ، فإنها لغة أهل الجنة "

وبناء عليه :

يجب أن يبدأ أولادنا تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية مع العناية التامة بالأداء الجيد والنطق الصحيح ودقة الفهم والتعبير ـ وتذوق الجمال فى الكلمات والعبارات ـ كلما تقدمت بهم الدراسة ـ مع العناية برسم الحروف والكلمات ، وأن يوجهوا التوجيه السليم إلى كيفية الكتابة وجمال الخط العربى ، مع تعويد هم على الحديث بلغة عربية سليمة بعيدة عن العامية ـ قدر الإمكان حتى يدرك بحسه أنه على طريق لغة علم وثقافة وأنه مميز بتعلمه إياها .

ويرتكب جريمة حمقاء كل من يدفع بولده لتعلم أكثر من لغة وهو صبى حدث مما يجعله يضطرب فى نطق لغته القرمية ، ويضطرب أيضا فى نطق اللغة الأجنبية المصاحبة فلكل لغة أداؤها الخاص بها ، كما أن لها قواعد النطق ومخارج الحروف الخاصة بها ، فلا يحسن الولد لغته القومية ولا يحسن أداء ونطق اللغة الأجنبية .

ويجوز ذلك بعد أن يجتاز الولد المرحلة الأولى من التعليم حتى يكون جهاز النطق قد اعتاد نطق لغته القومية نطقا صحيحا وقد درب على الأداء الجيد تدريبا كافيا .. وان كان فى كثير من دول العالم ، لا يتعلم الولد اللغة الثانية إلا مع بداية المرحلة الثانوية .

ومع ذلك تلقى اللغة العربية هجوما صارخا ـ وللأسف من أبنائها لسبب وحيد هو صعوبة قواعدها والعيب ليس فيها ولكن العيب فى طرق التدريس . والمعلم الذى يقوم بعرضها وانعدام التدريب عليها والتقصير الشائن فى استعمالها والنظرة المتعالية من البعض ، بينما العالم كله بمؤسساته العلمية يهتم بدراستها وينشىء أقساما خاصة باللغة العربية وعلومها وآدابها .

وحقيقة لا تقبل الجدل ، أن اللغة العربية لغة لها أصالتها وتاريخها وأنها لغة حضارة راقية ولا يمكن أن تخلد وتمتد هذه اللغة دون أن تعتمد على أصول وقواعد نشأت مع نشأتها ، وهذا سر عظمتها .

ودليلنا على ذلك ، أن كل ماوصل إلينا من شعر ونثر فى العصور التى سبقت الإسلام كلها تتفق مع قواعد اللغة العربية التى نتعلمها فى أيامنا هذه كما أن القرآن الكريم حينما نزل بلغة قريش ـ أنقى وأروع لهجات العرب ـ اتفق مع قواعد اللغة العربية ، دليلان من أقوى الأدلة على أن قواعد اللغة العربية لها أصالتها كأصالة اللغة العربية نفسها فاذا هوجمت هذه القواعد ، هذا يعنى الهجوم على اللغة ذاتها وبالتالى على آدابنا وتراثنا وبالتالى الهجوم على القرآن الكريم . الكتاب المحكم الخالد المنزل من عند الله سبحانه وتعالى :ـ

ومن أقوال الامام عبد القاهر الجرجانى فى هذا :
" وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له ، وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم الذى تقدم وأشبه أن يكون صدا عن كتاب الله ، وعن معرفة معانيه ذاك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجةإليه فيه ،إذا كان قد علم الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها " (١)
ومن الكلمات الرائعة التى قيلت فى هذا الشأن أيضا ما قالته الأديبة العراقية الشاعرة الدكتورة نازك الملائكة :ـ

" إن قواعد النحو العربى ليست إلا صورة من القوانين المنظمة التى تخضع لها الجماعات والجماعة التى تضيع قواعد لغتها لا بد أن تضيع قواعد تفكيرها وحياتها وإن لزوم القاعدة النحوية صورة فى إحساس الأمة بالنظام ودليل على احترامها لتاريخها وثقتها بنفسها ثقة كاملة أصلية " (٢)

" كما أن اللغة العربية اكتسبت خلودا ومنعة وثباتا بالقرآن الكريم ، فهو الحصن الذى حماها وجعلها تقاوم كل ما يقابلها من أعاصير الزمن ، وعواصف السياسة ووسائلها الهدامة " (٣)

---

(١) دلائل الاعجاز (فى علم المعانى) الامام عبد القاهر الجرجانى ط ١٩٦٠ (صبيح)
(٢) مجلة العربى العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧
(٣) عالمية الاسلام ـ أنور الجندى صـ ١٠٣

فالقواعد ليست من وضع الواضعين بعد العصر الاسلامى ولكن التدوين كان تسجيلا لما هو موجود فعلا ، فالعيب فينا وليس فى قواعد اللغة العربية ودليلان أن اللغة العربية بنحوها وصرفها ونطقها صارت لغة الشعوب الاسلامية قاطبة منذ المد الإسلامى ولكنها تقلصت عن بعض الشعوب أمام القهر الاستعمارى المعادى للإسلام .

فاذا تمسكنا بلغتنا معنى ذلك التمسك بقواعدها وأساليبها وبيانها حتى ندرك ونعى القرآن الكريم دستور المسلمين على مدى البشرية ووسيلة سعادتهم فى الدنيا والآخرة .

فالمسلم ملزم بإتقان اللغة العربية إتقانا واعيا مستنيرا مهما كانت جنسيته ومهما كلن تخصصه فى عمله ، ولا عذر مطلقا لمسلم إذا قصر أو أهمل ، فكيف تكون مسلما مؤمنا وأنت لا تفهم ما يقوله القرآن الكريم .

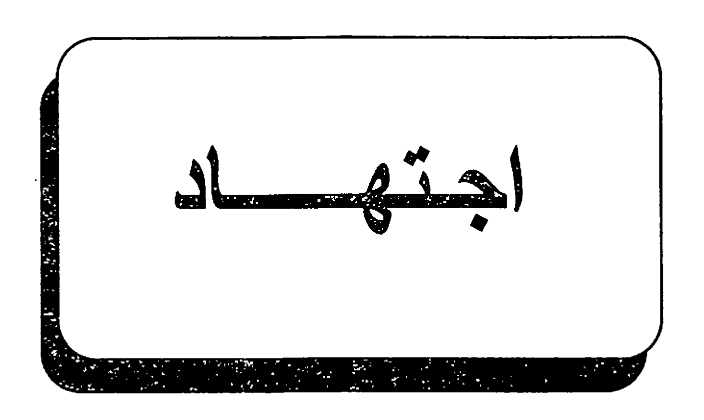
قال تعالى فى سورة طه :

" ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى "

(١٢٤ - ١٢٦)

صدق الله العظيم

فكيف تدرك مرامى الآيات وتتذوق بلاغتها مالم تجد اللغة العربية ؟



.. " الكلمة الجديدة والفكرة الجديدة هى أكثر ما يخشاه الانسان "

فيادور دوستيفسكى
مجلة علم النفس يولية ١٩٨٨

تعليق ورد

اتشرف من موقع التلميذ لأستاذه فضيلة الدكتور محمد نايل بالرد على التعليق الذى ورد بخطابه الكريم كدفاع أوإيضاح لوجهة نظر فى تناول ومناقشة موضوع البحث وهو حتمية تعلم وإجادة القراءة والكتابة على المسلم حتى لا تشوب إيمانه شائبة ما . ويؤدى رسالته فى الحياة التى وجد من أجلها .

وأبدأ الرد ، بتقديم موفور الشكر ، وعظيم الاحترام ، لتقديره الجهد الذى بذل فى البحث ، وأنا واحد من أجيال تلامذته ، وهذا بعض غرسه ومهما قلت فى شخصه ، فهو تحصيل حاصل .

قلت فى البحث أن القراءة والكتابة دعوة إسلامية صحيحة ، وأن المسلم لا بد أن يكون فى أسما المراتب الإنسانية ، علما ورقيا وحضارة لذا وجه القرآن الكريم المسلم إلى التأمل والبحث ، وأثار معه أخطر القضايا العلمية والتى لم يكشف النقاب عن بعضها إلا خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، بينما الإسلام أثارها منذ ماينيف عن أربعة عشر قرنا أيام أن كانت غالبية البشرية تغط فى ظلام وجهل دامسين .

والقرآن الكريم .. نزل باللغة العربية .. والمفروض على المسلم أن يعى ويتدبر ما تتضمنته الآيات الكريمة من معانى وأفكار وأهداف ، على أن تؤخذ هذه المعانى والأفكار والأهداف ، مأخذ التطبيق العملى حتى يتحقق عمار الكون عمارا راقيا متحضرا تنعم فى ظلاله الإنسانية بالرخاء والسعادة فى الدنيا والآخرة ، وبذلك يستحق الإنسان خلافة الله سبحانه فى أرضه " أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " من الصالحون ؟ الذين يعملون لأداء هذه المهمة فى ظلال من تقوى الله .

والمسلم أيا كانت جنسيته وأيا كانت لغته وأيا كان موقعه مطلوب منه أن يتلو القرآن الكريم ـ تلاوة المطبق لدعوة الآيات بجانب تعبده بها ـ فالقرآن لم ينزل ليتخذ أحجية أو قراءته فى كل وقت قراءة الببغاوات انما هو دستور البشرية المنظم لمجتمعاتها فى جميع المجالات على مدى الزمن للوصول الى سعادة الدارين .

لذا أكدت أن تعلم العربية فرض على المسلم مهما كانت جنسيته أو لغته أو موقعه فهو مسلم أولا وأخيرا والقرآن الكريم كتابه ، وكتابه باللغة العربية ، فكيف الوصول الى حقائق الآيات مالم يجد العربية إجادة تامة
قال تعالى :ـ

" أفلا يتدبرون القرآن " ٨٢ ـ النساء

" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " ٢٤ ـ محمد

" أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين "
٦٨ ـ المؤمنون

" كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب "
٢٩ ـ ص

والتدبر كما جاء فى معاجم اللغة مادة (دبر)

المعجم الوسيط : دبر الأمر وفيه : ساسه ونظر فى عاقبته .

لسان العرب : التدبر : التفكر فيه (صـ ١٣٢١) دار المعارف

مفردات القرآن (محمد حسن الحمصى) صـ ٩٢ (دار الرشيد دمشق) : ـ

أفلا يتدبرون القرآن : يتأملون معانيه ويتبصرون مافيه .

وفى تفسير الآية الكريمة أفلا يتدبرون القرآن " اكتفى من التفاسير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا صـ ٢٤٠ تفسير سورة النساء ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، فماذا قال :

(.. .. وفيه أن تدبر القرآن فرض على كل مكلف لا خاص بنفر يسمون المجتهدين يشترط فيهم شروط ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما الشرط الذى

لابد منه ولا غنى عنه ، هو معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها ، فهى التى يجب على من دخل فى الإسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته بمزاولة كلام بلغاء أهلها ومحاكاتهم فى القول والكتابة حتى تصير ملكة وذوقا ، لا بمجرد النظر فى قوانين النحو والبيان التى وضعت لضبطها وليس تعلم هذه اللغة ولا غيرها من اللغات بالأمر العسير فقد كان الأعاجم فى القرون الأولى يحذقونها (يمهرون فيها) فى زمن قريب حتى يزاحموا الخلص من أهلها فى بلاغتها وإنما يراه أهل هذه الأعصار (العصور) عسيراً لأنهم شغلوا عن اللغة نفسها بتلك القوانين وفلسفتها ....

وفيه أيضا ـ وجوب الاستقلال فى فهم القرآن لأن التدبر لا يتم ، الا بذلك ، ويلزم ذلك بطلان التقليد ، قال الراوى :" دلت الآية على وجوب النظر والاستدلال ، وعلى القول بفساد التقليد ..."

... لسنا نعنى ببطلان التقليد أن كل مسلم يمكن أن يكون كمالك والشافعى فى استنباط الاحكام الاجتماعية فى أبواب الفقه كلها فينبغى له ذلك ، وانما نعنى أنه يجب على كل مسلم أن يتدبر القرآن ويهتدى به بحسب طاقته ، وأنه لا يجوز لمسلم قط أن يهجره ويعرض عنه ولا أن يؤثر على ما يفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لا مجتهدين ولا مقلدين ، فانه لاحياة للمسلم فى دينه إلا بالقرآن ، ولا يوجد كتاب لإمام مجتهد ، ولا لمصنف مقلد يغنى عن تدبر كتاب الله فى إشعار القلوب عظمة الله تعالى وخشيته وحبه والرجاء فى رحمته والخوف من عقابه .

أما وسر القرآن لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به فى كل زمان لما فسدت أخلاقهم وآدابهم ، ولما ظلم واستبد حاكمهم ولما زال ملكهم وسلطانهم ولما صاروا عالة فى معايشهم وأسبابها على سواهم أ هـ . (انتهى كلام تفسير المنار) .

أظن بعد ذلك .. تتأكد فرضية اللغة العربية على المسلم مهما كانت الظروف التى يعايشها ، كما اننى استشهدت بالآيات الكريمة التى تؤكد أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية .. فماذا يعنى ذلك ؟!

وهناك دليل يؤكد الاتجاه السابق أن الإسلام نزل للناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلى مدى البشرية لم يفرق بين جنس وآخر وبين أصحاب لغة وأخرى ولم ينزل بلغة العرب أى يخصهم وحدهم بل جعل القرآن الكريم اللغة العربية لغة عالمية أبدية خالدة ..؟ فالمسلم الذى يتخلى عنها بحجة أنها ليست لغته الأصلية لم يكتمل إيمانه بعد ولم يع قلبه وعقله حقائق الاسلام كما ينبغى فإجادة اللغة العربية هى وسيلة الى فهم القرآن الكريم .

" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين "	١٠٧ ـ الأنبياء
" وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا "	٢٨ ـ سبأ
" إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "	٢ ـ يوسف
" وكذلك أنزلناه حكما عربيا "	٢٧ ـ الرعد
" قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون "	٢٨ ـ الزمر

ننتقل الى مناقشة نقطة ثانية من التعليق ، على الرغم من أنه أجيب عليها ضمنا خلال كلمة الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار حينما قال أستاذنا الجليل :" فان كل الآيات والآحاديث التى ساقها لاثبات فكرته ، ليس فيها ما يدل على فرضية العربية على غير المسلم ، ولا فرض القراءة والكتابة على المسلم ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين من عهد الرسالة الى اليوم بفرضية شىء ومن ذلك "

أولا ـ لم أشرفى بحثى إلى غير المسلم من قريب أو بعيد ، فهذا ، خارج عن موضوع البحث ، فموضوع البحث المسلم حتى ولو كان غير عربى فى آية بقعة من بقاع الأرض وعلى مدى الزمن مع العلم أن البعض من غير المسلمين لهم دور كبير فى علوم العربية وأدابها وهذه قضية أخرى .

ثانيا ـ بالنسبة لملاحظة أنه لم يقل أحد من علماء المسلمين من عهد الرسالة إلى اليوم بفرضية شيء من ذلك ، فهذا حجر على عقل المسلم ودعوة الى التبعية والتقليد دون أن يعمل عقله ويكون كمن يحمل شعار المقلدين " هكذا قال آباؤنا " وتسرع بنا الخطا الى الجمود والتخلف لنصير أمة الأغنام بعد أن كنا ، خير الأمم ، وعلى أمل عن عقيدة راسخة ـ أن نعود كما كنا فيأوائل العصور الاسلامية بل أقوى وأرقى في كل ميادين الحياة حتى نكون جديرين بصفة الصالحين
كما قال تعالى :

" أن الأرض يرثها عبادى الصالحون "

وأؤكد ما أقول بهذه الكلمات التى هى نتيجة خبرات عملية وبحث وتدقيق من أصحابها : ـ

١ـ فى أهرام ١٩٨٩/٧/٤ صـ ٧ فى مقال تحت عنوان (حلال العصر وحرامه) كتب الاستاذ فهمى هويدى " لقد تعلمنا من فقهاء الأصول أن للشريعة مقاصد خمسة ضرورية تتمثل فى الحفاظ على : الدين والنفس والعقل والعرض والمال . وهى مقاصد لا سبيل الى تحقيقها فى ظل التخلف والتبعية ...... "

٢ ـ فى مجلة العربى (يونية ١٩٨٩) صـ ٢٢ مقال العلاقة بين طبقات المجتمع (وجهة نظر إسلامية) كتب الدكتور محمد عمارة .
" لقد أصاب الإمام الغزالى عندما حدد الضرورات ـ الاجتماعية التى يستحيل بدون توافرها إقامة الدين فقال :
" إن نظام الدين لا يصلح الا بنظام الدنيا ، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن ، وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن ، فلا ينتظم إلا بتحقيق هذه المهارات الضرورية إن نظام الدنيا شرط لنظام الدين " (الاقتصاد فى الاعتقاد صـ ٣٥)

٣ ـ الاهرام ١٩٧٩/٥/٢٤ فى مقال (هل نظل عبيدا لأقوال الأقدمين) صـ ٧ لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر :

ونظرا لأن المصالح للناس تختلف من زمن الى زمن ، ومن بيئة الى بيئة ، وأن المدار فى أحكام المعاملات هو تحقيق مصالحهم وتوفيرا لأمن والاستقرار لهم ...والانطلاق فى الحياة بما يحقق سعادتهم كان من الضرورى أن يراعى المفتى هذه المصالح فى زمنه وبيئته حتى يحكم على ضوئها .. وكان من الخطأ الفاضح والجناية على الدين والدنيا عدم النظر إلى المصلحة وإلى تغيرها حسب الزمان والمكان ، كما قرر العلامة ابن القيم حين قال :" إن المفتى الذى يفتى الناس بما وجده فى الكتب دون مراعاة مصالحهم فى زمنهم ومكانهم وقت الفتوى جاهل وضار بالدين وبالناس ، وهو كالطبيب الذى يداوى الناس بدواء واحد دون فحص لمعرفة نوع أمراضهم وما يناسبها من دواء . ذاك يضر بالدين وذاك يضر الجسد .

٤ ـ الأهرام بتاريخ ١٩٨٩/٧/٥ مقال تحت عنوان (هل فى مصر مستقبل ؟) . للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل " وأول المحاذير هو الغرق فى حديث " المنقول " .. لسهولة وتجنب حديث " المعقول " رغم أهميته فى ، وقت نحتاج فيه الى دخول ميادين الاجتهاد قبل دخول ميادين الجهاد ـ على الأقل لنعرف طبائع حروبنا ومعاركنا ، وأطرافها وأهدافها "

٥ ـ مجلة العربى (يولية ١٩٨٨) مقال (منهج التجديد فى الفكر الاسلامى) صـ ١٩ للدكتور محمد فاروق نبهان " قابلية النصوص التشريعية للفهم المتجدد ، هذا مبدأ لاخلاف فيه فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الثابته تقبلان التفسير والتأويل ، وليس من حق أى جيل أن يختص بهذا التفسير والتأويل مدعيا فى ذلك حقا خاصا ، يمارسه دون غيره ، فالأجيال المتلاحقه سواء فى حقها المشروع فى التفسير والرأى ، والخطاب الشرعى متجدد فى كل عصر ، وهو خطاب لكل مكلف ومن حق المكلف أن يقرأ الخطاب فاذا توفرت فيه القدرة على الفهم والتفسير والتأويل فهو مكلف به ، ولا عذر له فى تقليد يحاكى به عوام الناس ممن تنقصهم الكفاءة والقدرة .

ضرورة مواكبة الفكر الإسلامى لحاجات الإنسان ، وذلك لأن الفكر غايته الإنسان ولا يجوز لهذا الفكر أن يكون معزولا عن قضايا ذلك الإنسان ، فان رضى لنفسه العزلة فقد حكم على نفسه بالجمود والتراجع والفكر الإسلامى يملك كل قابليات النماء .. ..

ولا يمكن لأحد أن ينكر أهمية الاجتهاد فى تاريخ الفكر الاسلامى وفى تكوين أهل المدارس الفكرية التى أغنت الفكر الاسلامى بتراث خالد ..

كما أن .. ادعاء الورع فى أمر الاجتهاد لا يعتبر مبررا للتهرب من المسؤولية فى إبداء الرأى والتعبير عن موقف الاسلام . أ هـ

كان يمكن الاسترسال والاتيان بالدلائل والأمثلة التى تثبت حقى فى الاجتهاد ، مستنبطا من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، فرضية تعلم اللغة العربية وإجادة القراءة والكتابة على المسلم (١)

ولا أقصد بالفرضية الجد والإكراه ولكنها فرضية الإسلام النابعة من الايمان أليس الاتجاه الى محو أمية الغالبية ضرورة ملزمة اجتماعيا وحضاريا وتنفق الأموال الطائلة بالملايين من أجل كرامة الإنسان أن يكون متعلما راقيا فى فكره وفى سلوكه .

هذه هى دعوة الاسلام من أربعة عشر قرنا ، دعوة إلى النور ، دعوة الى الهدى ، دعوة الى تعلم العربية تعلما جيدا حتى نفهم ونعى كتاب الله المنزل (القرآن الكريم)، لنسعد فى الدارين دنيا وآخرة ، دعوة الى تقارب وتفاهم الشعوب الإسلامية قاطبة .

فإجادة القراءة والكتابة واجب دينى إسلامى ، والواجب الإسلامى هو الواجب الحضارى والمسلم مكلف بها ، حتى يكمل دينه ، ويتم إيمانه ويعى متطلبات الحياة".

---

(١) ارجع الى البحث (دعوة الاسلام إلى أجادة القراءة والكتابة)

كلمــة أخيــرة

يذهب الى الحج فى كل عام ما يقرب من مليونين من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، تختلف ألوانهم وجنسايتهم وثقافاتهم ، ولغاتهم ويربطهم الإسلام برباط مقدس متين ، على هدف واحد " لا اله الا الله محمد رسول الله " ويتجهون من أية بقعة فى الأرض إلى بيت الله الحرام الكعبة ويتراصون حول الكعبة وفى رحابها ولكن ولكن لا يستطيعون التفاهم معا ، أو التقارب فى الأفكار ، والغريب فى الأمر أن كتابا واحدا بين أيديهم يتعبدون ، ويسترشدون بآياته فى نظام حياتهم ، ألا وهو القرآن الكريم .

فلو أننا تعلمنا لغة القرآن الكريم ، تعلما جيدا ، أداء ونطقا ، وفهما ووعيا ، ودربنا على ذلك من صغرنا ، فى لغة عربية فصيحة بعيدة عن التعقد والتشدد ، فى أسلوب سهل ميسر ، فصارت الفصحى لغة الحديث والتخاطب بيننا فى الشارع والأسواق والمدارس ، قد يكون الأمر غريبا فى أوله وقد يدعو دعاة المجتمعات المغلقة إلى السخرية واستهجان الأمر .. لكن لو تسلح الانسان بسلاح الدين ، وسلاح الوطنية وسلاح الأمة ، لتخيل مدى الأثر البالغ ــ لو حرص المسلمون على لغة القرآن فى مشارق الأرض ومغاربها لهذا الاتجاه ، فى حياة الفرد والجماعة والأمة الاسلامية ولك كمسلم أن تفخر أنك سوف تجد من تحادثه وتتفاهم معه باللغة العربية فى أية بقعة من بقاع الأرض فيها مسلمون .

كان الانجليز يفخرون بأنك اذا أنزلت بأية دولة تجد من تحادثه باللغة الانجليزية .. حقا .. لأنها كانت فى أول الأمر لغة الغاصب المستعمر الذى بطش وقهر الشعوب المسالمة بقوة السلاح ، وفرضها قهرا ولكن اللغة العربية لغة مناجاة العبد لربه فى لحظات الصفاء الروحى ، لغة لها قداستها ، ويكفى أنك تتلو القرآن بهذه اللغة التى نزل بها ، ولم يتناوله تغيير أو تحريف حتى فى حرف واحد إلى أن يشاء الله .

وما زالت اللغة العربية صرحا شامخا ، ووعاء صلبا ، ومعبرا أدق التعبير ، فى سلاسة ويسر ورشاقة ومتانة وقوة ، عن جميع أنواع المعرفة على اختلاف ميادينها الحسية والنفسية والروحية والمادية .

وان أردت اليقين فارجع لدراسة تاريخ الحضارة الاسلامية منذ نشأتها فترى العجب العجاب على الرغم من قول الحاقدين والناقمين فى الداخل أو الخارج .

أمنية يجب أن تتحقق بنص القرآن الكريم والسنة هى أن يتفاهم مسلمو العالم بلغة واحدة لغة القرآن الكريم .. فيصبح العالم الاسلامى القوة البناءة لعمار الأرض ونشر السلام فى ربوعها ..

يا مسلمى العالم .. أجيدوا لغة دينكم تسلموا ، وتحققوا المعجزات .

دعوة الكتاب

ولم أرفى عيوب الناس عيبا

كنقص القادرين على التمام

" المتنبى "

دعـــوة الكتـــاب

١ـ إجادة القراءة والكتابة فرض عين على كل مسلم ومسلمة صغيرا أو كبيرا مهما كان المكان والجنس واللغة الأصلية ، والتخصص فى الحياه العلمية والعملية .

٢ـ الأبوان مسؤولان مسئولية كاملة أمام الله والإسلام عن أمية أبنائهم وتربيتهم مهما كانت الظروف المعيشية أو البيئية .

٣ـ المدرسة بهيئتها وكبار المسؤولين عن التربية والتعليم مسؤولون أمام الله والناس والوطن عن انفلات تلميذ من مدارس المرحلة الأولى دون أن يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية .

٤ـ معلم المرحلة الأولى حسابه عند الله عسير ، إذا أهمل أو قصر فى تعليم تلاميذه القراءة والكتابة ، وسوف يدفع الثمن من أثمن شىء لديه فى دنياه ثم الحساب أمام الله فى الآخرة .

٥ـ على كل صاحب مهنة أو حرفة أو صناعة ألا يقبل صبيا فى العمل مالم يكن مجيدا للقراءة والكتابة باللغة العربية ، وحتى لا يكون شريكا فى إفساد مسلم وسحب الصلاحية منه للحياة الراقية . وعلى الوزارات المعينة التشديد على ذلك ـ على الأقل أن يكون التلميذ قد اتم المرحلة الأولى وأتمها بنجاح حقيقى .

٦ـ تسريب الأولاد من مدرسة المرحلة الأولى بحجة عدم قدرتهم على القراءة والكتابة والحفاظ على نتائج المدرسة ـ جريمة شنعاء فى حق الدين

والمجتمع الإنسانى والوطن .. بل يجب على مثل هؤلاء أن يعاملوا معاملة خاصة تتفق مع ظروفهم الاجتماعية مالم يكن متخلفا عقليا فالمدارس الخاصة بهم منتشرة ومفتوحة الأبواب للجميع بلا استثناء .

٧- أن يشجع الصغار والكبار على التطلع إلى الحياة الآدمية الإنسانية عن طريق القراءة الدائمة فى جميع الميادين بجانب ميدان تخصصه حتى يرفع مستوى معيشته ومن مستوى مهنته أو صناعته بتتبع أحدث التطورات ولعل هذا يهديه الى فكرة أجدى من المستورد .

٨ ـ القراءة والكتابة تربط الإنسان بمجتمعه وبوطنه وبالعالم الإنسانى كما أنه عامل أساس فى تنمية الانتماء للوطن .

٩- مهما بلغ الانسان من العمر لا بد أن يكون مجيدا للقراءة والكتابة مهما كانت مشاغلة وظروفه المعيشية وأن يتحايل بكل الطرق من أجل إجادة القراءة والكتابة ، فالشخص الأمى يكون قد خرج بمحض إرادته من آدميته وانسانيته ، فالعقل نعمة لا تقدر بثمن فمن عطله ومنع منافذ الحياة الراقية فقد أساء إلى نفسه وإلى إنسانيته واتهم فى إيمانه بدينه فلا عذر لأمى حتى ولو بلغ من العمر أرذلة ويكون قد أساء إلى نعمة أنعم الله بها

١٠ ـ احرص على لغتك العربية حرصك على حياتك بها تعز وترقى فإذا ما استوى الإنسان مجيدا للقراءة والكتابة تفتحت أمامه أبواب الخير والسعادة والرضا النفسى .. وتحقق ـ

أ ـ كمال الإيمان بالله والرسول وبالإسلام دينا .

ب ـ إثبات الأدمية والإنسانية .

جـ ـ الاتصاف بالعزة والتى استمدها من عزة الله سبحانه .

د ـ واكب التحضر والرقى الإنسانى .

هـ ـ الإسهام فى إقامة العبادات, والرقى العلمى على أسس يقينية وليست تقليدية .

و ـ استحقاق أن يكون خليفة الله فى الأرض عن جدارة بالعمل الصالح لخدمة البشرية .

اذن ...

ما نحن فيه من تخلف وتدهور علمى وحضاوى بيدنا لابيد غيرنا وصدق الله العظيم حيث قال : ـ

" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "

١١ ـ الرعد

فخرى محمد صالح
دكرنس
محافظة الدقهلية
مصـــــــر

ربيع الأول ١٤٠٩
أكتـوبر ١٩٨٨

المراجع

١ ـ القرآن الكريم

التفاسير

٢ـ التفسير العظيم لابن كثير
٣ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا
٤ـ تفسير النسفلى
٥ـ تفسير الجلالين
٦ ـ التفسير الواضح ـ دكتور محمد حجازى
٨ ـ الكشاف للزمخشرى

كتب السنة

٧ـ صحيح البخارى
٨ ـ صحيح مسلم
٩ـ سنن أبى داود
١٠ـ سنن الترمزى

المعاجم

١١ ـ لسان العرب ـ ابن منظور
١٢ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية
١٣ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزبادى

كتب متنوعة

١٤ ـ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى
١٥ ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكل
١٦ ـ الرسول فى القرآن ـ محمود بن شريف
١٧ ـ الايمان والحياة .د . يوسف القرضاوى .
١٨ ـ الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين
د . نبيل صبحى الطويل .
١٩ ـ مشكلات فى طريق الحياة . محمد الغزالى .

٢٠ ـ تربية الإنسان المسلم حسن ملا عثمان .
٢١ ـ الرسول والعلم ـ د . يوسف القرضاوى .
٢٢ ـ أدب الدنيا والدين ـ أبو الحسن الماوردى
٢٣ ـ اشتراكية الإسلام ـ د . مصطفى السباعى
٢٤ ـ دور التربية فى التنمية الاجتماعية د . محمد لبيب النجيجى
٢٥ ـ القرآن وتجديد المجتمع ـ د . إبراهيم اللبان
٢٦ ـ الأزهر فى خدمة الإسلام ـ أحمد حسن الباقورى
٢٧ ـ الشخصية ـ محمد عطية الابراشى .
٢٨ ـ التربية عند العرب ـ محمد فوزى العنديل
٢٩ ـ الحياة المثلى وكيف نحققها ـ محمود أحمد حماد .
٣٠ ـ النفس الانسانية فى أدب الجاحظ سامى الكيانى .
٣١ ـ التربية فى الإسلام ـ د . أحمد فؤاد الأهوانى .
٣٢ ـ الاسلام والعصر ـ د . عبد العزيزكامل .
٣٣ ـ شخصية المسلم كما يصورها القرآن د . مصطفى عبد الواحد .
٣٤ ـ دراسات فى اللغة العربية د . خليل يحيى نامى .
٣٥ ـ لغتنا الجميلة والمشكلات المعاصرة فاروق شوشة .
٣٦ ـ القرآن والتفسير العصرى ـ د . بنت الشاطىء
٣٧ ـ كتاب الصناعتين ـ لأبى هلال العسكرى .
٣٨ ـ فى الأدب الجاهلى ـ د . طه حسين .
٣٩ ـ الفن ومذاهبه فى النثر العربى ـ د . شريف ضيف
٤٠ ـ الاسلام ومشكلات الفكر ـ فتحى رضوان
٤١ ـ النثر الفنى فى القرن الرابع ـ د . زكى مبارك .
٤٢ ـ عالمية الإسلام ـ أنور الجندى .

٤٣ ـ أسرار البلاغة فى علم البيان عبد القاهر الجرجانى .

٤٤ ـ فقه اللغة ـ د . على عبد الواحد .

٤٥ ـ دلائل الاعجاز فى علم المعانى ـ الجرجانى .

٤٦ ـ تربية الأولاد ـ عبد الله ناصح علوان

دوريــات

٤٧ ـ صحيفة الأهرام اليومية

٤٨ ـ مجلة عالم الفكر ـ يناير سنة ١٩٨٣

٤٩ ـ مجلة الهلال .

٥٠ ـ مجلة الدوحة

٥١ ـ مجلة مستقبل التربية يناير سنة ١٩٧٣

٥٢ ـ مجلة الثقافة مايو سنة ١٩٧٥

٥٣ ـ مجلة العربى سبتمبر سنة ١٩٧٧



الفهرس

رقم الإيداع : ١١٣٦٦ / ١٩٩٤م

I.S.B.N:977-00-8150-7

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت: ٣٤٢٧٢١/٣٥٦٢٢٠/٣٥٦٢٣٠

ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨